هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة
تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية - القدس

العدد 148

محرم/ صفر 1441هـ أيلول/ تشرين الأول 2019 م

المشرف العام
الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير
الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج
محمود طنينة

هيئة التحرير

د. إسماعيل أمين نواهضة
أ.د. حسن عبد الرحمن السلوادي
د. حمزة ذيب حمودة
د. سعيد سليمان القيق
د. شفيق موسى عياش

المراسلات: مجلة الإسراء
مديرية العلاقات العامة والإعلام . دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب: 20517- القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس : 02-6262495 / 02-2348603
موقعنا على الإنترنت :www.darifta.org للمراسلة عبر البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب .

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

خطورة التطبيع مع مغتصبي فلسطين	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

هنيئاً للحجاج طهارتهم من الذنوب والخطايا	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	16

ملف العدد

دور الشباب والمرأة في الهجرة إلى المدينة المنورة	الشيخ أحمد شوباش	26
من مقاصد الهجرة النبوية المطهرة	أ. كايد جلايطة	32
الدروس والعبر من الهجرة النبوية الشريفة	أ. فتحي محمود	39
قصيدة/ وعجلت إليك	أ. رأفت ميقاتي	43

فتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية	45

فهرس العدد

فلسطينيات

في بيت المقدس: الراشدون أسسوا والأمويون شيدوا	أ. عزيز العصا	53
كي لا ننسى مجازر تدان فيها الضحية ويكرم المجرم القاتل	أ. يوسف عدوي	63

من هنا وهناك

الإعجاز العلمي حقيقة أم وهم؟	أ. فراس حج محمد	74
أشياء ينبغي سترها	أ. كمال بواطنة	80
اقرأ ... وتذكر	أ. إيمان تايه	84
مضرب الأمثال	أ. هالة عقل	89

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	97
مسابقة العدد 148	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 146	أسرة التحرير	111

خطورة التطبيع مع مغتصبي فلسطين في ضوء القرآن والسنة ومواقف شرفاء الأمة

الشيخ محمد أحمد حسين

المشرف العام

التطبيع مصطلح جديد قديم، شاع استخدامه للدلالة على منهج أشخاص، أو جهات عربية، أو إسلامية، في إقامة علاقات ودية أو سلمية مع كيان الاحتلال الصهيوني، يجري خلالها تبادل الزيارات، وعقد اللقاءات، وتوثيق التعاون المشترك بين المطبعين وهذا الكيان، ومما يتبادر إلى ذهن المؤمن بالقرآن حيال هذه المعضلة، استحضار شاهدين متتاليين من سورة الممتحنة، حث الأول منهما على التعامل بالبر والقسط مع كيانات غير مسلمة، لكنها لم تقاتل المسلمين ولم تخرجهم من ديارهم، يعني أنها كيانات مسالمة لم تبادر إلى قهر المسلمين واضطهادهم، وسلب أراضيهم، وتهجيرهم عنها، فقال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة:8)

والشاهد الذي يليه في السورة نفسها، يُحرِّم موالاة الذين قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وأوطانهم، أو ظاهروا على إخراجهم، فيقول عز وجل: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الممتحنة:9)

وسورة الممتحنة نفسها افتتحت بآيات ذات صلة وثيقة بمضامين الآيتين سالفتي الذكر، حيث قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ*إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ* لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (الممتحنة: 1 - 4)

فالذي يؤمن بالله رباً، وبالقرآن وحياً من رب العزة، وأنه يجب العمل بمقتضاه، عليه أن يتدبر معاني هذه الآيات القرآنية الكريمة، والعمل بموجبها، ومع التوجيهات الكريمة المتضمنة في هذه الآيات القرآنية الكريمة، بخصوص الموقف اللازم تبنيه، تجاه معضلة التطبيع مع أي فرد أو كيان يعتدي على حقوق المسلمين، ويغتصب أوطانهم، أو يظاهر على تهجير المسلمين من ديارهم وأوطانهم، تتضافر توجيهات أخرى متضمنة في آيات قرآنية، أو أحاديث نبوية شريفة، ومن تلك التوجيهات، على سبيل المثال لا الحصر:

تحريم خذل المسلم لأخيه:

الخذلان والطعن في الصدور والظهور من المسلم للمسلم، فرداً كان أم جماعة، حرام شرعاً، ومرتكبه آثم؛ لاقترافه ذنباً منهياً عنه، ففي الحديث الصحيح، جاء النهي صريحاً عن خذل المسلم لأخيه، فعن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هاهنا، وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) [1]

وبالنسبة إلى معنى (لا يَخْذُلُهُ) قال العلماء: الخذل ترك الإعانة، والنصر، ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه، لزمه إعانته، إذا أمكنه، ولم يكن له عذر شرعي. [2]

وفي رواية صحيحة أخرى، جاء النهي عن خذلان المسلم لأخيه، بعبارة: (يُسْلِمُهُ) فعن عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَرَ، رضي الله عنهما، أخبر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، ولا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كان في حَاجَةِ أَخِيهِ، كان الله في حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ الله عنه كُرْبَةً من كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ الله يوم الْقِيَامَةِ) [3]

وفي شرحه لمعنى النهي عن أن يسلم المسلم أخاه، يقول ابن حجر العسقلاني: أي لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره، ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجباً، وقد يكون مندوباً، بحسب اختلاف الأحوال. [4]

1-صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

2- صحيح مسلم بشرح النووي: 16/ 120.

3- صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه.

4- فتح الباري: 5 /97.

مسؤولية المسلمين عن رفع الظلم عن إخوانهم:

جاءت الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وآراء السلف الصالح ومواقفهم النبيلة، لتؤكد على عظم المسؤولية الملقاة على عاتق عموم المسلمين وخواصهم، تجاه قضية رفع الظلم عن إخوانهم، سواء الذي يصيب أشخاصهم، أم أموالهم، أم أعراضهم، ومن الشواهد الدالة على ذلك:

قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً}(النساء: 75)، يقول الرازي في تفسيره: قوله: {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدانِ} متصل بما قبله، وفيه وجهان: أحدهما، أن يكون عطفاً على السبيل، والمعنى مالكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين، والثاني: أن يكون معطوفاً على اسم الله عز وجل، أي في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين، والمراد بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان، قوم من المسلمين بقوا بمكة، وعجزوا عن الهجرة إلى المدينة، وكانوا يلقْون من كفار مكة أذى شديداً.[1]

وفي الصحيح عن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، يقول: (كنت أنا وَأُمِّي من الْمُسْتَضْعَفِينَ، أنا من الْوِلْدَانِ، وَأُمِّي من النِّسَاءِ)[2]

ويقول عز وجل:{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ}(الشورى: 39)، جاء في تفسير أبي السعود، أن المعنى هنا أنهم ينتقمون ممن بغى عليهم، على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل، وهو وصف لهم بالشجاعة، بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل،

1- التفسير الكبير: 10/ 145.

2- صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟

وهـذا لا ينـافي وصفهـم بالغفـران؛ فـإن كلاً منهمـا فضيلـة محمـودة في موقـع نفسـه، ورذيلـة مذمومـة في موقـع صاحبـه، وعليـه قـول مـن قـال:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرَّدا

وَوَضْعُ النّدى في موْضعِ السّيفِ بالعلا مضرٌّ كوضْع السيفِ في موضع النّدى

وقولـه تعـالى: {وجـزاء سيئة سيئة مثلها}(الشـورى:40) بيـان لوجـه كـون الانتصـار مـن الخصـال الحميـدة، مـع كونـه في نفسـه إسـاءة إلى الغـير، بالإشـارة إلى أن البـادئ، هـو الـذي فعلـه لنفسـه، فـإن الأفعـال مسـتتبعة لأجزئتهـا حتمـاً، إن خـيراً فخـيرٌ، وإن شراً فـشر، وفيـه تنبيـه عـلى حرمـة التعـدي، وإطـلاق السـيئة عـلى الثانيـة؛ لأنهـا تسـوء مـن نزلـت بـه. [1]

ثم قال سبحانه: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ} (الشورى:41)

يقـول القرطـبي: ويقتـضي ذلـك إباحـة الانتصـار لا الأمـر بـه، وقـد عقبـه بقولـه: {وَلَمَـنْ صَـبَرَ وَغَفَـرَ إِنَّ ذَلِـكَ لَمِـنْ عَـزْمِ الْأُمُورِ}(الشـورى: 43)، وهـو محمـول عـلى الغفـران عـن غـير المـصر، فأمـا المـصر عـلى البغـي والظلـم، فالأفضـل الانتصـار منـه، بدلالـة الآيـة الـتي قبلهـا، وقيـل: أي إذا أصابهـم البغـي تنـاصروا عليـه، حـتى يزيلـوه عنهـم، ويدفعـوه، قالـه ابـن بحـر: وهـو راجـع إلى العمـوم بنـاء عـلى مـا سـبق ذكـره. [2]

ومـن معـززات تقديـر أهميـة مسـؤولية المسـلمين عـن رفـع الظلـم عـن إخوانهـم، الثنـاء القـرآني عـلى الأنصـار، لقيامهـم بـأداء واجـب النـصرة للمهاجريـن، فيقـول عـز وجـل: {وَالَّذِيـنَ تَبَـوَّءُوا الـدَّارَ وَالْإِيمَـانَ مِـن قَبْلِهِـمْ يُحِبُّـونَ مَـنْ هَاجَـرَ إِلَيْهِـمْ وَلَا يَجِـدُونَ فِي صُدُورِهِـمْ حَاجَـةً مِّمَّـا أُوتُـوا وَيُؤْثِـرُونَ عَـلَى أَنفُسِـهِمْ وَلَـوْ

1- تفسير أبي السعود: 8 /34 - 35.

2- تفسير القرطبي: 16/ 39.

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(الحشر: 9)

والرسول، صلى الله عليه وسلم، صرح بما لا يدع مجالاً لأي شك أو تردد، أو تأويل، بوجوب نصرة المسلم لأخيه، فقال: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قال: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ)[1]، فلا مبرر للمسلم أن يقف دون حراك، وهو يرى ظلماً يقع من أخيه أو عليه.

وعن الْبَرَاء بن عَازِبٍ، رضي الله عنهما، قال: (أَمَرَنَا النبي، صلى الله عليه وسلم، بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عن سَبْعٍ، فذكر عِيَادَةَ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعَ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتَ الْعَاطِسِ، وَرَدَّ السَّلَامِ، وَنَصْرَ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةَ الدَّاعِي، وَإِبْرَارَ الْمُقْسِمِ) [2]

وقد توعد الله الظالمين وأسيادهم بمثل قوله جل شأنه: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء} (إبراهيم:42 - 43) يقول ابن كثير: أي لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجَّلهم أنه غافل عنهم، مهملٌ لهم، لا يعاقبهم على صنعهم، بل هو يحصي ذلك عليهم، ويعدُّه عليهم عداً[3]. ويقول الثعالبي: هذه الآية بجملتها فيها وعيد للظالمين، وتسلية للمظلومين. [4]

فإذا اقتضى الواجب الديني من المسلمين أن يهبوا لنجدة إخوانهم، ليرفعوا الضيم عنهم، فكيف إذا أصاب الظلم وطنهم أو مقدساتهم؟! وكيف إذا أصاب اعتداء الظالمين مسرى نبيهم، صلى الله عليه وسلم، وما حوله من الأرض التي باركها الله،

1- صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً.

2- صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم.

3- تفسير ابن كثير: 2/ 542.

4- تفسير الثعالبي: 2/ 285.

ومن عليها من عباده الصابرين المصابرين المرابطين؟! كيف لهم أن يتخاذلوا عن واجب النصرة للقدس ومقدساتها وأبنائها، والمرابطين في أكنافها؟!!!

خوض النصرة لأهلها واجب أداه الصالحون:

الشواهد الدالة على ممارسة خوض النصرة من صالحي الأمة لمن يحتاج إليها من إخوانهم كثيرة؛ نذكر منها:

❁ نصرة خزاعة:

ممارسة الرسول، صلى الله عليه وسلم، النصرة لأهلها من المسلمين والمعاهدين، فعن عروة بن الزبير، عن مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة، أنهما حدثاه جميعاً، قالا: (كَانَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَةُ، وَقَالُوا: نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، وَقَالُوا: نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ. فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةَ أَوِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ لَيْلًا بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْوَتِيرُ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا من أَحَد، فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ وَالسِّلَاحِ، وَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ، لِلضَّغْنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ، حَتَّى قدم على رَسُول الله، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، يخبر الْخَبَرَ، وَقَدْ قَالَ أَبْيَاتَ شِعْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنشدها إِيَّاه:

يـارب إني ناشـد محمـدا حلـف أبينـا وأبيـه الأتلـدا
كنـت لنـا أبـاً وكنـا ولـدا ثمـت أسـلمنا فلـم نـنزع يـدا
فانـصر رسـول اللـه نـصرا عتـدا وادع عبـاد اللـه يأتـوا مـددا
فيهـم رسـول اللـه قـد تجـردا ان سـيم خسـفا وجهـه تربـدا
في فيلـق كالبحـر يجـري مزبـدا إن قريشـا أخلفـوك الموعـدا
ونقضـوا ميثاقـك المؤكـدا زعمـوا أن لسـت تدعـو أحـدا
فهـم أذل وأقـل عـددا قـد جعلـوا لي بكـداء مرصـدا
هـم بيتونـا بالوتـير هجـدا فقتلونـا ركعـا وسـجدا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نصرت يَا عَمْرو بن سَالم، فَمَا برح حَتَّى مَرَّتْ بِنَا عَنَانَةٌ فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ.

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاس بِالْجِهَازِ، وَكَتَمَهُمْ مَخْرَجَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَى قُرَيْشٍ خَبَرَهُ، حَتَّى يَبْغَتَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ.(*)

نصرة المعتصم:

ومن ممارسات خوض النصرة لأهلها تلبية المعتصم نداء المستغيثة، وخبر ذلك مشهور عند العرب والمسلمين وسواهم، حتى أضحت مثلاً يتغنى به الشعراء، وحين طفح الكيل في الخذلان والتقاعس عن تلبية نداء المستغيثين، صارت تلبية المعتصم نداء المستغيثة، تستخدم لتأنيب المتخاذلين عن الاستجابة لنداء المستغيثين، فيقول الشاعر السوري المشهور عمر أبو ريشة:

* البداية والنهاية لابن كثير: 3/ 56، بتصرف.

ربَّ وامعتصماه انطلقت	ملء أفواه البنات اليتم
لامست أسماعهم لكنها	لم تلامس نخوة المعتصم
أمتي كم صنم مجدته	لم يكن يحمل طهر الصنم
لا يلام الذئب في عدوانه	إن يك الراعي عدوَّ الغنم

صلاح الدين الأيوبي يحرر القدس من الصليبيين:

حملة تحرير القدس من أيدي الغزاة الصليبيين، التي قادها المظفر صلاح الدين الأيوبي، شاهد حي على أداء مقتضى الانتصار لحق الأمة، والدين، والمسلمين، يذكر ابن خلدون في مقدمته: أنه لما ضعف أمر الخلافة، أعوام الخمسمائة من الهجرة في آخرها، وكانت في ملكة العبيديين خلفاء القاهر من الشيعة، واختل أمرهم، زحف الفرنجة إلى بيت المقدس، فملكوه، وملكوا معه عامة ثغور الشام، وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة، كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها، حتى إذا استقل صلاح الدين ابن أيوب الكردي بملك مصر والشام، ومحا أثر العبيديين وبدعهم، زحف إلى الشام، وجاهد من كان به من الفرنجة، حتى غلبهم على بيت المقدس، وعلى ما كانوا ملكوه. (*)

فصلاح الدين الأيوبي زحف إلى القدس محرراً، بعد أن وقعت أسيرة في يد الفرنجة، وجلب إلى المسجد الأقصى منبره المعروف، الذي تم إحراقه من قبل حاقد صهيوني عام 1969م.

فالشواهد النصية والعملية تتضافر في الحث على نصرة المسلم لأخيه، وبيان الواجب الشرعي تجاه هذه القضية الحيوية، الدينية والأخلاقية والمجتمعية والوطنية والإنسانية، وتُظهر وقائع التاريخ وأحداثه كثيراً منه ممارسة السلف الصالح، عمليات النصرة لدينهم، وأوطانهم، وإخوانهم.

* مقدمة ابن خلدون: 1/ 355.

التطبيع مع مغتصبي فلسطين في ميزان الشواهد الشرعية:

النصوص الشرعية، والمواقف النبيلة آنفة الذكر، ليست سوى عينة من مجموع الشواهد الدالة على لزوم الانتصار للحق، ورد البغي والعدوان، ما يعني رفض مواطأة الظالم ومجاملته، والسكوت عن جرائمه، فلا يُقبل من مسلم خَذل إخوانه، ولا من حر عربي أو أعجمي، أن يقف شاهداً على الجرائم التي ترتكب من أهلها ضد أصحاب الحقوق المشروعة في فلسطين وغيرها من أقطار الدنيا وبقاعها، فخذلان المستضعفين ليس من شيم الكرام، ولا من قيم المؤمنين، والاكتفاء بالإنكار القلبي لفظائع الظالمين، مرفوض لما يكون ممن يملكون التغيير بغير هذه الوسيلة، التي شرعت للمغلوبين على أمرهم، ومعلوم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، فكيف إذا حدثت المجاملة، أو الموافقة للظالمين من قبل من يفترض فيهم الانتصار لكرامتهم الممسوسة، ولإخوانهم المقهورين، ولمقدساتهم المستهدفة بالتدنيس، ولأرضهم المغتصبة جهاراً نهاراً؟ كيف يمكن قبول هذا الخذلان في ضوء آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة النبوية المطهرة القولية والعملية، ومواقف الشرفاء الأفذاذ، الذين رفضوا الخنوع للدنايا والمخازي، ونطق أحرارهم، قائلين:

سأحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الرَّدى
فإمّا حياةٌ تسرُّ الصديق ... وإمّا مماتٌ يُغيظ العدى
ونفسُ الشريف لها غايتان ... ورودُ المنايا ونيلُ المنى
وما العيشُ؟ لا عشتُ إن لم أكن ... مخوفَ الجناب حرامَ الحمى

فمن أسوأ المخازي التطبيع مع كيان الاحتلال الذي يسيطر على فلسطين وأهلها ومقدساتها بقوة السلاح المدجج، ومنطق ظلم الطاغين المتجبرين، وضعف عموم أهل

الحق، وتخاذل بعضهم، ومظاهرتهم الباطلة على ظلم إخوانهم، وتدنيس مسرى نبيهم الكريم، صلى الله عليه وسلم، وقبلتهم الأولى، حتى بات المجاهرون بالإثم في هذه الأيام يُسوقون علانية للتطبيع مع أعداء دينهم، وإخوانهم، وأوطانهم، بمبررات واهية ما أنزل الله بها من سلطان، ويلجأون لذلك عبر مسارات وأنشطة كثيرة، منها الرياضي، والثقافي، والاقتصادي، والفني، وحتى عبر بعض اللقاءات الدينية والمؤتمرات، وورشات العمل متعددة الأهداف والغايات، ويلحظ في أحيان كثيرة أن ما يجري لا يتم صدفة، أو من منطلقات بريئة، وإنما يتم في إطار منظومة مخطط لها بإحكام، ويُنفق عليها بسخاء، وتُغطى بالنشر الواسع من وسائل الإعلام، وصنيع ضال من هذا القبيل، حين يتم بمشاركة من إخوان المستهدفين بالقهر، وسفك الدماء وسلب الحقوق المشروعة، وتدنيس مقدسات الأمة، فهو على هذا الحال ليس سوى نوع من خذل الوطن، والإخوان، يجريه ويسوق له المطبعون ممن تجب عليهم النصرة، وما هو إلا تعاون منهم على الإثم والعدوان، المنهي عنه في قرآننا الكريم، فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قاهر الظالمين، والمنتصر للمستضعفين، ومتوعد المتخاذلين.

الانتصار للمظلوم يختلف عن أعمال الإرهاب:

حتى لا يذهب بعض القراء بعيداً في الظنون والتحليل، يحسن التنبيه إلى أن الحث على الانتصار للمظلوم من الظالم، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها الشرعيين، لا يعني بحال الهبوط إلى حضيض التفلت من القيم النبيلة، والأخلاق الكريمة، والأحكام الشرعية السديدة، في التعامل مع الأرواح الإنسانية، والدماء البريئة، فليس منا من

يدعو إلى العصبية المقيتة، التي أمرنا بالكف عنها؛ كونها منتنة، والله جل في علاه أمر المؤمنين في دينه القويم بالعدل، حتى وهم يتعاملون مع من يكرهون، فقال عز وجل: {....وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ}(المائدة: 2)

والله يكره سلوك درب السوء، إلا إذا اقتضى ذلك منع ظلم واقع، فيقول عز وجل: {لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً}(النساء: 148) والعداء من المؤمن يكون لظاهرة الظلم ومن يتبناها، والله عز وجل يقول: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ}(الشورى:41 - 42)، أي إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدون على الناس ظلماً وعدواناً بأن يعاقبوهم بظلمهم، لا على من انتصر ممن ظلمه فأخذ منه حقه. (*)

فالفرق شاسع بين من ينتصر للحق، ودفع الظلم، وردع المعتدين، وبين من يلحق الأذى بالآمنين المسالمين، ولو كانوا غير مسلمين.

هدانا الله وأمتنا صراطه المستقيم، ومنهجه القويم، ورفع عنا ووطننا وأمتنا ومقدساتنا كيد الأشرار، وظلم الفجار، وخوار المطبعين والمتخاذلين، والراضين بالدنايا دون المنايا، ممن رضوا بأن يكونوا للظالمين أعواناً.

* تفسير الطبري: 25/ 40.

هنيئاً للحجاج طهارتهم من الذنوب والخطايا

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله
رئيس التحرير

ذنوب الخلق وخطاياهم ليس لها حصر، وهي موجودة بالاقتران مع وجودهم، فإن أبقوا عليها قست قلوبهم، وساء مصيرهم، وإن تطهروا منها، ونفضوها عن كواهلهم أبدلهم الله بها حسنات، وربحوا البيع، مصداقاً لقوله عز وجل: {إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} (الفرقان: 70)

تاريخ الذنوب البشرية:

منذ بداية خلق البشر، وجدت الخطيئة، فعصى آدم، لكنه تاب، فتاب الله عليه، كما يخبر عن ذلك رب البرية، في قرآنه الكريم، فيقول تعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى* فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} (طه:120 - 122)

ثم كانت من بعد ذلك خطيئة قتل أحد ابني آدم أخاه، التي أخبر القرآن الكريم عن بعض حيثياتها، فقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ*

لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ* إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ* فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ* فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} (المائدة: 27 - 31)

ثم استمر وقوع الخطايا والذنوب من البشر، وذلك ينسجم مع السماح لإبليس بممارسة الإغواء لبني آدم، بناء على طلبه الإذن بذلك من رب العالمين، وعن هذا يقول تعالى: {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ* قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} (الأعراف: 14 - 17)

مفهوم الذنوب والخطايا:

يُطلق مصطلحا الذنوب والخطايا، على الأقوال والأفعال، التي تخالف شرع الله، سواء ما تعلق منها بالشعائر التعبدية، أم بالعلاقات العامة والخاصة، أم بمجالات شؤون الحياة الأخرى، وتطلق على المخالفات الشرعية مسميات عدة، فهي السيئات والذنوب والخطايا والمعاصي والفجور والآثام، وما شابه ذلك من المسميات، التي تدل في مجملها على أداء مخالف لأمر الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، والعلماء عملوا على التفريق بين معاني هذه المسميات، وبيان أوجه الدلالة الخاصة بكل منها، والمقام هنا لا يتسع لعرض ذلك، ويكفي الاستدلال ببعض الشواهد الشرعية على بعض هذه المسميات، فمن ذلك قوله تعالى في المعاصي: {وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} (النساء: 14)

ويقول تعالى في السيئات والآثام: {وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً} (النساء: 111)، ويقول تعالى في الخطيئة: {وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} (النساء: 112)، ويقول سبحانه في الفجور: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} (الشمس: 8)

التوبة من الذنوب والخطايا:

ما دام صدور الذنب من الإنسان متوقعاً وغير مستغرب، فكان من رحمة الله بعباده، أن فتح باب التوبة والاستغفار، فمن أذنب فرجع وأناب، سيجد الله غفوراً رحيماً، حسب وعود الله الصادقة بالخصوص، والتي تحدثت عنها آيات قرآنية كريمة، يقول تعالى في إحداها: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران: 135) والعفو عن ذنوب التائبين، يشمل سائر الذنوب الخالية من التلبس بالشرك، مصداقاً لقوله عز وجل: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}(النساء: 48)، وفي سورة النساء نفسها تكرر التأكيد على مضمون هذا الوعد الرباني، حيث قال عز وجل: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً} (النساء: 116)

المؤمن يسعى للتطهر من المعاصي:

يحرص المؤمن على التطهر من الخطايا والذنوب مهما كلفه ذلك من ثمن، حتى لو كانت حياته هي المقابل المطلوب لذلك، ومما ورد في صريح اللفظ والمعنى بالخصوص، حديث ماعز بعد أن ارتكب فاحشة الزنى، فجاء النبي، صلى الله عليه وسلم، طالباً التطهر، فعن سُلَيْمَانَ بن بُرَيْدَةَ، عن أبيه، قال:(جاء مَاعِزُ بن مَالِكٍ

إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، فقال: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ، وَتُبْ إليه، قال: فَرَجَعَ غير بَعِيدٍ، ثُمَّ جاء، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ، وَتُبْ إليه، قال: فَرَجَعَ غير بَعِيدٍ، ثُمَّ جاء، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ طَهِّرْنِي، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: مِثْلَ ذلك، حتى إذا كانت الرَّابِعَةُ، قال له رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: فيما أُطَهِّرُكَ؟ فقال: من الزِّنَى. فَسَأَلَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: أَبِهِ جُنُونٌ؟ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ ليس بِمَجْنُونٍ، فقال: أَشَرِبَ خَمْرًا؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ، فلم يَجِدْ منه رِيحَ خَمْرٍ، قال: فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَزَنَيْتَ؟ فقال: نعم، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَكَانَ الناس فيه فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يقول: لقد هَلَكَ، لقد أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يقول: ما تَوْبَةٌ أَفْضَلَ من تَوْبَةِ مَاعِزٍ؛ أَنَّهُ جاء إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فَوَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، ثُمَّ قال: اقْتُلْنِي بِالحِجَارَةِ، قال: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ، أو ثَلَاثَةً، ثُمَّ جاء رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، فقال: اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بن مَالِكٍ، قال: فَقَالُوا: غَفَرَ الله لِمَاعِزِ بن مَالِكٍ، قال: فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، لقد تَابَ تَوْبَةً لو قُسِمَتْ بين أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ، قال: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ من غَامِدٍ من الْأَزْدِ، فقالت: يا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي. فقال: وَيْحَكِ، ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ، وَتُوبِي إليه، فقالت: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كما رَدَّدْتَ مَاعِزَ بن مَالِكٍ، قال: وما ذَاكِ؟ قالت إِنَّهَا حُبْلَى من الزِّنَى، فقال: آنْتِ؟ قالت: نعم، فقال لها: حتى تَضَعِي ما في بَطْنِكِ، قال: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ من الْأَنْصَارِ، حتى وَضَعَتْ، قال: فَأَتَى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: قد وَضَعَتْ الْغَامِدِيَّةُ، فقال: إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا، ليس له من يُرْضِعُهُ، فَقَامَ رَجُلٌ من الْأَنْصَارِ، فقال: إلي رَضَاعُهُ يا نَبِيَّ اللَّهِ، قال فَرَجَمَهَا)(*)

* صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى.

عينة من أمهات مكفرات الذنوب وأبرزها:

يتجلى كرم الله وعفوه في الصفح عن ذنوب عباده وخطاياهم، حين يأتونه منيبين تائبين مستغفرين، وقد تفضل سبحانه عليهم في فتح آفاق كثيرة، أتاح من خلالها للتائبين منهم فرص الحصول على العفو الإلهي عن سيئاتهم، ومن تلك الآفاق المتاحة على مدار الساعة، في الليل والنهار، الاستغفار، الذي لا يحتاج إلى ترقب مواعيد زمانية، ولا الوصول إلى ظروف مكانية، ولا الحصول على موافقات من الخلق، وإنما يكفي له التوجه الصادق والمباشر من العبد المذنب إلى خالقه، صاحب العفو والمغفرة، ومن متطلبات نيل جائزة العفو التوبة النصوح، التي من شروطها الندم على اقتراف الذنب، والعزم الأكيد على ترك العودة إليه، والاستغفار من فعله، وإذا تعلق بحقوق العباد، فلا بدَّ من السعي لردها إليهم، أو الحصول على مسامحتهم.

ومن مكفرات الذنوب، التي وردت في إبرازها النصوص الشرعية، تلك العينة:

الدخول في الإسلام:

الإسلام يَجُبُّ ما قبله؛ أي أن الإسلام يقطع ما كان قبله من الكفر والمعاصي والذنوب ويمحوها [*] ففي صحيح مسلم، عن ابن شِمَاسَةَ المَهْرِيِّ، قال: (حَضَرْنَا عَمْرَو بن الْعَاصِ، وهو في سِيَاقَةِ المَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إلى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يقول: يا أَبَتَاهُ؛ أَمَا بَشَّرَكَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، بِكَذَا؟! أَمَا بَشَّرَكَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، بِكَذَا؟ قال: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فقال: إِنَّ أَفْضَلَ ما نُعِدُّ، شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ، إني قد كنت على أَطْبَاقٍ ثَلاثٍ، لقد رَأَيْتُنِي، وما أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، مِنِّي، ولا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قد اسْتَمْكَنْتُ

* المعجم الوسيط: 1/ 104.

منه، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ على تِلْكَ الحَالِ، لَكُنْتُ من أَهْلِ النَّارِ، فلما جَعَلَ الله الإِسْلامَ في قَلْبِي، أَتَيْتُ النبي، صلى الله عليه وسلم، فقلت: ابْسُطْ يَمِينَكَ، فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قال فَقَبَضْتُ يَدِي، قال مالك يا عَمْرُو: قال: قلت: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قال: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قلت: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلامَ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ ما كان قَبْلِهَا، وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ، وما كان أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ من رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، ولا أَجَلَّ في عَيْنِي منه، وما كنت أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ منه إِجْلالاً له، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ ما أَطَقْتُ؛ لأَنِّي لم أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ منه، وَلَوْ مُتُّ على تِلْكَ الْحَالِ، لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ من أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ ما أَدْرِي ما حَالِي فيها، فإذا أنا مُتُّ فلا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، ولا نَارٌ، فإذا دَفَنْتُمُونِي، فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ ما تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حتى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي)[*]

ومن مكفرات الذنوب، ترطيب اللسان بذكر الله، وتسبيحه، وحمده، وتكبيره، سواء خلال أداء الصلاة، أو في أعقابها، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا، يتبعون مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا مَجْلِسًا فيه ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حتى يملؤا ما بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فإذا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا، وَصَعِدُوا إلى السَّمَاءِ، قال: فَيَسْأَلُهُمْ الله عز وجل وهو أَعْلَمُ بِهِمْ، من أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا من عِنْدِ عِبَادٍ لك في الأرض، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قال: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قال: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لَا، أَيْ رَبِّ، قال: فَكَيْفَ لو رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قال: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قالوا: من نَارِكَ يا رَبِّ، قال:

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ كَوْنِ الإِسْلامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةِ وَالْحَجِّ.

وَهَلْ رَأَوْا نَارِي، قالوا: لا، قال: فَكَيْفَ لو رَأَوْا نَارِي، قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قال: فيقول قد غَفَرْتُ لهم، فَأَعْطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قال: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ، عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إنما مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قال: فيقول: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) [1]

ومن مكفرات الذنوب إسباغ الوضوء على المكاره، وإكثار الخطا إلى المساجد، فعن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (ألا أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ على المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إلى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ) [2]

ومنها صوم رمضان، وقيام ليله، وقيام ليلة القدر التي تتخلله، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (من قام لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ) [3]

وعنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (من قام رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ)[4]

وصوم يوم عرفة لغير الحاج، قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (ثَلاثٌ من كل شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ على اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ التي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ على اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قَبْلَهُ)[5]

1- صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب فضل مجالس الذكر.
2- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، بَابُ فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ.
3- صحيح البخاري، كتاب الصوم، بَابُ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَنِيَّةً.
4- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَاب تَطَوُّعُ قِيَامِ رَمَضَانَ مِنَ الإِيمَانِ.
5- صحيح مسلم، كتاب الصيام، بَابُ اسْتِحْبَابِ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَعَاشُورَاءَ، وَالِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ.

ومن مكفرات الذنوب العمرة إلى العمرة، فعن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (الْعُمْرَةُ إِلى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ ليس له جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ) [1]

والجود بالصدقات يكفر الذنوب، ويقي من شر الفتن، ففي صحيح البخاري، بَاب الصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وفيه عن حُذَيْفَةَ، رضي الله عنه، قال: قال عُمَرُ، رضي الله عنه: (أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، عن الْفِتْنَةِ؟ قال: قلت: أنا أَحْفَظُهُ، كما قال، قال: إِنَّكَ عليه لَجَرِيءٌ، فَكَيْفَ قال؟ قلت: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْمَعْرُوفُ) [2]

وفي صحيح مسلم، عن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ، قال: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (من اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ من النَّارِ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ) [3]

والشهادة في سبيل الله، يمحو الله بها ما سلف من ذنوب الشهيد وخطاياه، فعن عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه، أَنَّهُ سَمِعَهُ يحدث عن رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (أَنَّهُ قام فِيهِمْ، فذكر لهم أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، والإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ إن قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقال له رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: نعم، إن قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، ثُمَّ قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، كَيْفَ قُلْتَ؟ قال: أَرَأَيْتَ إن قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: نعم، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إلا الدَّيْنَ، فإن جِبْرِيلَ، عليه السَّلام، قال لي ذلك) [4]

1- صحيح البخاري، كتاب العمرة، بَابُ وُجُوبِ العُمْرَةِ وَفَضْلِهَا.
2- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ الصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ.
3- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ.
4- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، بَابُ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ كُفِّرَتْ خَطَايَاهُ إِلَّا الدَّيْنَ.

الحج والطهارة من الذنوب والخطايا:

في فلك مكفرات الذنوب يبرز الحج المبرور، الذي وُعِد صاحبه بأن يرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فعن أبي حَازم، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: (قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: من أتى هذا الْبَيْتَ، فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُقْ، رَجَعَ كما وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) [1]

وعنه قال: سمعت أَبَا هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قال: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (من حَجَّ لِلَّهِ فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) [2]

وعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (الْعُمْرَةُ إلى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ، ليس له جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ) [3]

والحج المبرور هو الذي يخلو من الفسق والرفث والجدال، مما نهى الله عنه الحجاج، فقال عز وجل:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} (البقرة: 197)

فهنيئاً لمن حجوا على الوجه المسنون جائزتهم، التي يتفضل الله عليهم بها ساعة النفرة من عرفات، بعد أن وفقهم الله لأداء ركن الحج الأكبر، فعن ابن الْمُسَيَّبِ قال: قالت عَائِشَةُ: أن رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (ما من يَوْمٍ أَكْثَرَ من أَنْ يُعْتِقَ الله فيه عَبْدًا من النَّارِ من يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ، فيقول: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟) [4]

1- صحيح مسلم، كتاب الحج، بَاب فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ.
2- صحيح البخاري، كتاب الحج، بَابُ فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ.
3- صحيح البخاري، كتاب العمرة، بَابُ وُجُوبِ العُمْرَةِ وَفَضْلِهَا.
4- صحيح مسلم، كتاب الحج، بَاب فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ.

والحج المبرور يحتل منزلة رفيعة في سلم أفضل الأعمال، وهو يفوق جهاد التطوع في الفضل، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قال: (سُئِلَ النبي، صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قال: إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: حَجٌّ مَبْرُورٌ) (*)

خاتمة:

فبما أن الذنوب لا مناص من اقترافها، كون البشر يعتريهم الضعف والنسيان، وتؤثر فيهم مؤثرات الأهواء والغرائز والطباع، وأن لا معصوم منهم سوى الأنبياء، ومن قدر الله له أن يحميه من الوقوع في الزلل، فالمرء حتى وهو مؤمن، ويعبد الله، يحمل على كاهله ذنوباً تلو ذنوب، ما يعني أنه في أمس الحاجة إلى التخلص من هذا الثقل، بأداء صالح الأعمال، والنطق بخير الذكر والكلام، والحج فرصة عظيمة لمن يسره الله تعالى له، فعليه أن ينتهزها، ليكون من ذوي الحج المبرور، الذي يعود من أداه على هذا الوجه من هذه الرحلة التعبدية، التي حل فيها ضيفاً على ربه في خير بقاع الأرض، وقد غفر الله ذنوبه، وأراحه من وزرها، وعاد عدّاد ذنوبه إلى العد من الصفر، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: (رَجَعَ كما وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)، فهنيئاً لحجاج بيت الله الحرام نيلهم هذا المقام، ومكافأتهم بهذه الجائزة، أن عادوا من الحج بلا ذنوب، ولا خطايا، ولا سيئات، ولا آثام.

* صحيح البخاري، كتاب الحج، بَابُ فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ.

دور الشباب والمرأة في الهجرة إلى المدينة المنورة

الشيخ أحمد شوباش
مفتي محافظة نابلس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإنَّ حادثة الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، تعد حدثاً مفصلياً في تاريخ الدعوة الإسلامية، وواقعة مهمة في مختلف تفاصيل الحياة وميادينها.

وقد جاءت هذه الحادثة بعد عداء مستحكم لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، واجه خلاله أعتى عتاة المشركين، ومورست عليه شتى ألوان الرفض والمواجهة والمقاومة لدعوته، بالإيذاء الجسدي والنفسي والإعلامي، وإلحاق صنوف الضرر والأذى للأصحاب والأتباع، وقد فشلت أساليب الخداع والإغراء كلها، وأخفقت وسائل التعذيب والإرهاب، وباءت كل خططهم بخيبة الأمل.

ولعل أبرز تلك الحملات في مكة المكرمة، السعي إلى تصفية النبي، صلى الله عليه وسلم، وقتله.

وخيوط المؤامرة تمت في ذلك الوقت، وصرّح بها القرآن الكريم بنص قطعي لا

يخضع إثباته للاجتهاد، قال الله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}(الأنفال: 30)، فالآية تذكر النبي، صلى الله عليه وسلم، بما تشاور به المشركون فيما يصنعون به عليه الصلاة والسلام من توثيق، وحبس، أو قتل، أو إجلاء، وإخراج، ونفي حتى غلَّبوا الرأي بالقتل، فجاء الوحي من السماء، حتى لا يبيت في فراشه فخرج، وأعمى الله أبصارهم عنه، فلما استبطأوه جاءهم آتٍ، وقال: خيبكم الله، قد خرج محمد وذرَّ على رؤوسكم التراب، فنفض كل منهم التراب عن رأسه، ومنع الله رسوله منهم، وأذن له بالهجرة إلى المدينة، وأيده بأصحابه من المهاجرين والأنصار، ولم يزل أمره يعلو، حتى عاد إلى مكة فاتحاً منصوراً، بعد أن خرج من مكة مستخفياً خائفاً على نفسه.(*)

وفي تلك الأثناء، وبعد خروج أكثر الصحابة، رضي الله عنهم، إلى المدينة المنورة، كان لمجموعة من الشباب والنساء، خاصة من الدائرة الضيقة، وأقربهم إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وصاحبه أبي بكر، دور بارز في إنجاح الهجرة النبوية، وممارسة أدوار تعد غاية في الإبداع، والإتقان، والفداء.

دور علي بن أبي طالب، رضي الله عنه:

روى الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: (وشَرى علي نفسه، لبس ثوب النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم نام مكانه، قال: وَكان

* السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 319، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 1.

المشركون يرْمون رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يَحْسب أنه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: إن نبي الله، صلى الله عليه وسلم، قد انطلق نحو بئر ميمونة فأدْركه، قال: فانطلق أبو بكر، فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يُرْمى بالحجارة، كما كانَ يُرْمى نبي الله، وهو يتضوّر، قد لَفَّ رأسَه في الثوب لا يخِرجه، حتى أصبح، ثم كشَف عن رأسه، فقالوا: إنك لَلَئيم! كان صاحبُك نرْميه، فلا يتضوّر، وأنت تتضوّر، وقد استنكرنا ذلك). [1]

وفي حديث الهجرة، لما قرّر النبي، صلى الله عليه وسلم، مغادرة مكة، أمر علياً بالمبيت في فراشه "نم على فراشي وتسجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم". [2]

إنه الفدائي الذي فدى نبي الله، صلى الله عليه وسلم، بروحه وهو في حدود السابعة عشرة من عمره، وهو في إيمان الفتية، والشباب الناشئين في نصرة دين الله، فأهل الكهف كانوا فتية آمنوا بربهم، وصاحب موسى في الهجرة لطلب العلم كان فتى، وكان الفتيان يتسابقون ويتنافسون للمشاركة مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في غزواته. وفي تخلف عليّ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، لرد الودائع أيضاً، درس في أمانة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى مع المشركين، وبيان للتناقض

1- مسند أحمد، ومن مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
ومعنى يتضور: يظهر الضر الذي به ويضطرب. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة ضور، 4/ 494، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ، عدد الأجزاء: 15.

2- ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 91.

الـذي أصـاب المشركـين في تكذيبـه، ورفـض اتباعـه في الوقـت، الـذي لـم يجـدوا خـيراً منـه أمانـةً وصدقـاً، فـدلَّ أن كفرهـم لـم يكـن بسـبب الشـك، وإنمـا كان عنـاداً وعلـوّاً واسـتكباراً. [1]

دور أسماء وعائشة، رضي الله عنهما:

تقـول عائشـة: "فجهزناهمـا أحـث الجهـاز ، أي راحلـتي النـبي، صـلى اللـه عليه وسـلم ، وأبي بكـر، وصنعنـا لهمـا سـفرة في جـراب، فقطعـت أسـماء بنـت أبي بكـر قطعـة مـن نطاقهـا، فربطـت بـه عـلى فـم الجـراب، فبذلـك سـميت ذات النطاقـين". [2]

وهـذا الموقـف في تهيئـة الـزاد والراحلـة، واشـتراك الفتاتـين في إعـداد العـدة لتلـك الرحلـة، يلمـح منـه مـا ينبغـي أن تكـون عليـه الفتـاة المسـلمة في الدفـاع عـن الديـن، وتحقيـق مبـادئ الإسـلام ، وإقامـة المجتمـع المسـلم ، فالواجـب عـلى المسـلمة اسـتنفاذ طاقاتهـا، وأوجـه نشـاطها في خدمـة الإسـلام والمسـلمين، والوطـن والأوطـان، وهـي مزيـة الشـباب في حيـاة الإسـلام والمسـلمين في كل زمـن وعـصر. [3]

كمـا جـاء عـن أسـماء، قالـت: (لَمَّـا خَـرَجَ رَسُـولُ اللـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وَخَـرَجَ مَعَـهُ أَبُـو بَكْـرٍ، احْتَمَـلَ أَبُـو بَكْـرٍ مَالَـهُ كُلَّـهُ مَعَـهُ، خَمْسَـةَ آلافِ دِرْهَـمٍ، أَوْ سِـتَّةَ آلافِ دِرْهَـمٍ، قالـت: وَانْطَلَـقَ بِهَـا مَعَـهُ، قَالَـتْ: فَدَخَـلَ عَلَيْنَـا جَـدِّي أَبُـو قُحَافَـةَ، وَقَـدْ ذَهَـبَ بَـصَرُهُ، فَقَـالَ: وَاللـهِ إِنِّي لأَرَاهُ قَـدْ فَجَعَكُـمْ بِمَالِـهِ مَـعَ نَفْسِـهِ، قَالَـتْ: قُلْـتُ: كَلا يَـا أبـت، إِنَّـهُ قَـدْ تَـرَكَ لَنَـا

1- البوطـي: د. محمـد سـعيد رمضـان، فقـه السـيرة النبويـة مـع موجـز لتاريـخ الخلافـة الراشـدة، ص 138، النـاشر: دار الفكـر - دمشـق، الطبعـة: الخامسـة والعـشرون، 1426هــ، عـدد الأجـزاء: 1.

2- الغضبـان: منـير محمـد، فقـه السـيرة النبويـة، ص 325، النـاشر: جامعـة أم القـرى، الطبعـة: الثانيـة، 1413هــ - 1992م، عدد الأجـزاء: 1.
والجراب: وعاء من جلد يوضع فيه اليابس من الأقوات، ابن منظور، لسان العرب، مادة جرب، 1 / 261.

3- البوطي، فقه السيرة النبوية، ص 139.

خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا، فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةِ البَيْتِ، كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أبت، ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ، قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لا بَأْسَ، إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا، فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلاغٌ، قَالَتْ، وَاللهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ). [1]

دور عبد الله بن أبي بكر وعامر بن فهيرة والدليل:

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ[2]، فَيُدْلِجُ[3] مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ[4] ، إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[5]، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا خِرِّيتًا، وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ

1- مسند أحمد ، مسند النساء ، حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

2- ثقف: ذو فطنة، ولقن: حسن التلقن لما يسمعه، الغضبان: (فقه السيرة النبوية، ص 325).

3- يدلج: إذا سار سحراً، الغضبان: (فقه السيرة النبوية، ص 325).

4- يكتادان: يطلب لهما المكروه وهو الكيد، (الشبلي: إبراهيم بن محمد العلي، صحيح السيرة النبوية، ص 123، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1996م، عدد الأجزاء: 1).

5- رضيفهما: اللبن المرضوف: الذي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس والنار لينعقد، وتزول رخاوته. الشبلي، (صحيح السيرة النبوية، ص 123).

السَّـهْمِيِّ، وَهُـوَ عَـلَى دِيـنِ كُفَّـارِ قُرَيْـشٍ، فَأَمِنَـاهُ فَدَفَعَـا إِلَيْـهِ رَاحِلَتَيْهِمَـا، وَوَاعَـدَاهُ غَـارَ ثَـوْرٍ بَعْـدَ ثَـلاَثِ لَيَـالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَـا صُبْـحَ ثَـلاَثٍ، وَانْطَلَـقَ مَعَهُمَـا عَامِـرُ بْـنُ فُهَـيْرَةَ، وَالدَّلِيـلُ).[1]

ويمكـن للقـارئ أن يلمـح في النشـاط الـذي بذلـه عبـد اللـه بـن أبي بكـر، رضي اللـه عنـه، ذاهبـاً آيبـاً بـين الغـار ومكـة، يتحسـس الأخبـار وينقلهـا إلى رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وأبيـه، ودور عامـر بـن فهـيرة في طمـس آثـار الواردين إلى الغار، وهمـا في عمر الشـباب، بـل في المرحلـة الأولى منـه، يدلـل أنهـم لـم يألـوا جهـداً في تجنيـد طاقاتهـم، وقوتهـم مـن أجـل خدمـة هـذا النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، والديـن وأهلـه، ونـصرة الإسـلام، وإقامـة مجتمعـه.[2]

إن هـذه الأمثلـة الجميلـة الرائعـة في قصة الهجـرة النبويـة، والنماذج الحسـنة الرائقة، والحـالات الـتي هـي موضـع تقديـر واحـترام وإعجـاب، لتعـد مثـالاً يُحتـذى، وقـدوة تتابـع، وأسـوة حسـنة، يسـير عـلى هديهـا الشـباب ذكـوراً وإناثـاً في خدمـة هـذا الديـن، والارتقـاء بالإسـلام والمسـلمين، وحمايـة الوطـن والمقدسـات.

1- صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه إلى المدينة.

2- البوطي: فقه السيرة النبوية، ص 139.

من مقاصد الهجرة النبوية المطهرة

الشيخ كايد حسن عايد جلايطة
مساعد مفتي/ دائرة الإفتاء أريحا والأغوار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن فلسفة الهجرة وأحداثها تبين أنها ارتقاء للمعالي، والبحث عن التغيير، والهجرة تحمل في طياتها كثيراً من الحكم والأسرار لكل جيل من الأجيال المتعاقبة؛ فهي هجرة من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم، تحت قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} (الحديد: 9)، والهجرة حدث جلل من أحداث السيرة العظيمة، ونقطة تحول للبشرية جمعاء، فكل حركة من حركات النبي، صلى الله عليه وسلم، تخبر عن دلالاتٍ وحكم، والهجرة أعظم رحلة في تاريخ الإنسانية، حيث أسست لبناء أعظم دولة شهدها التاريخ، فالهجرة معانيها دائمة ما دام الحق والباطل؛ وهي انتماء للحق والانتصار له، ولهذه المعاني بيَّن الله تعالى في كتابه أن إيثار أي شيء من الدنيا في ذلك الوقت على الهجرة يعد فسقاً وبعداً عن المعاني السامية التي أرادها من الهجرة، فقال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ

وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ} (التوبة: 24)، يقول ابن عتيق: "وما من أحد يترك الهجرة، إلا وهو يتعذر بشيء من هذه الثمانية، وقد سدّ الله على الناس باب الاعتذار بها، وجعل مَن ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقاً"(*)، لذا يبقى معنى الهجرة إلى ما شاء الله، وإن انقطعت بمفهومها من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

فالأسرار التي كانت من أجلها الهجرة كثيرة، لا يمكن حصرها في هذه العجالة، ولكن لا بدَّ من الإشارة إلى بعضها، والتي منها:

1 - إن رسالة الإسلام جاءت لتنظم شؤون الناس في شتى مجالات الحياة، فقد كانت الهجرة بعد تثبيت العقيدة وتقويتها في القلوب، وجعلها نموذجاً عملياً على أرض الواقع، يقول العقاد: "إن يوم الغار ليوم له عبرته وعزاؤه في كل يوم، ولا سيما أيام القلق والحيرة والانتظار، إنه يوم عقيدة، ويوم نظر إلى المستقبل، الذي ينظر إليه من ليس له رضا في حاضر عهده، وحاضر العالم في عهده لا يرضي أحداً من محبيه، حيثما غلبت الحيرة والقلق في العالم، فهنالك أمر واحد كن منه على أتم اليقين، كن على يقين أن العالم يبحث عن عقيدة روحية؛ لأنه يضيق بالحاضر، وينظر إلى المستقبل، وكل مستقبل لا محل له من جوانح الصدور إن لم يكن موضع رجاء، ومرجع إيمان، وغاية سعي يستحق الكفاح، وفي التاريخ الإنساني كله لم تقم فقط حركة عظيمة على الماضي

* ابن عتيق، حمد بن علي بن محمد، سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، ص 47، ط2، 1415هـ، تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان.

الـذي لا مسـتقبل بعـده، إنمـا تقـوم الحـركات العظمـى جميعـاً عـلى الرجـاء في غـدٍ محجـوب، أو عـلى شيء يمكـن أن يتحقـق في حيـاة الإنسـان، وشيء يبقـى أبـداً موضـع الرجـاء البعيـد"[1]

2 - معالجـة حركـة المجتمـع الإنسـاني وفـق منهـج اللـه سـبحانه، ومـن هـذه الحركـة حركـة التدافـع الإنسـاني، والأخـذ بأسـباب النجـاح، ثـمَّ التـوكل عـلى اللـه تعـالى، فهـذه الأمـة أمـة حركـة، وجـدت لتـدوم لا لتضمحـل، فـإن أخفـق المقـام بالمسـلم في تحقيـق مبـادئ شريعتـه، فيجـب عليـه البحـث عـن مقـام في أرض اللـه، يحقـق الهـدف مـن خلالـه لا للهـروب، وإنمـا للعـودة بقـوةٍ أفضـل ممـا كان عليـه، ليرسـم معالـم الحـاضر والمسـتقبل، لـذا خاطـب اللـه مـن احتـج بالاسـتضعاف في أرضـه، أنـه بإمكانـه البحـث عـن حاضنـة تحضنـه، والعمـل عـلى وجـود دعامـة تسـنده، قـال تعـالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا}(النساء: 97)، يقـول الغـزالي: "وشـأن المؤمـن مـع الأسـباب المعتـادة، أن يقـوم بهـا كأنهـا كل شيء في النجـاح، ثـم يتـوكل بعـد ذلـك عـلى اللـه؛ لأنـه كل شيء لا قيـام لـه إلا باللـه، فـإذا اسـتفرغ المـرء جهـوده في أداء واجبـه، فأخفـق بعـد ذلـك، فـإن اللـه لا يلومـه عـلى هزيمـةٍ بـلي بهـا، وقلمـا يحـدث ذلـك إلا عـن قـدرٍ قاهـر يعـذر المـرء فيـه، وكثـيراً مـا يترتـب للإنسـان مقدمـات النـصر ترتيبـاً حسـناً، ثـم يجـيء عـون أعـلى يجعـل هـذا النـصر مضاعـف الثمـار، كالسـفينة الـتي يشـق عبـاب المـاء بهـا، ربـان ماهـر، فـإذا التيـار يسـاعدها، والريـح تهـب إلى وجههـا، فـلا تمكـث غـير بعيـد، حـتى تنتهـي إلى غايتهـا في أقـصر مـن وقتهـا المقـرر".[2]

1- العقاد، عباس محمود، عبقرية محمد، صلى الله عليه وسلم، الدار المصرية للنشر والتوزيع، ص 212.

2- الغزالي، محمد، فقه السيرة، الطبعة السادسة، 1965م، ص 169، دار الكتب الحديثة، جمهورية مصر العربية.

3 - الوصول إلى الريادة، لا يكون إلا بعد التوكل على الله تعالى، والأخذ بالأسباب مع اليقين أن الأسباب لا شيء دون معونة الله، وهذه الحركة بينها النبي، صلى الله عليه وسلم، من أحداث الهجرة كلها، حيث هاجر سراً، فالدين لا يريد منك أن تهلك نفسك، وأن تهلك الناس، ولعل الرسالة في هذا المضمار واضحة بهجرة عمر، رضي الله عنه، جهراً وبهجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، سراً، مع أن النبي، صلى الله عليه وسلم، معه القوة التي ليست مع أحد، وسر ذلك أن عمر يعبر عن ذاته، بينما النبي، صلى الله عليه وسلم، يشرع لأمة عبر التاريخ، فقد أمن النبي، صلى الله عليه وسلم، أسباب النجاح جميعها، باستعمال القدرات كلها لنصرة الدين، وبهذا يسمو بالعطاء البشري، وتأخذ المرأة دورها الريادي في عزة الأمة، وفق منهجية تحليلية للقدرات، وبتخطيط دقيق للمراحل جميعها، التي يمر بها الإنسان، ودراسة البيئات المختلفة.

4 - الهجرة انتقال فكري واجتماعي وحضاري وسياسي واقتصادي، يبرز الشخصية الإسلامية المستقلة والمتميزة، وتعميق الفكرة، وتأسيس البناء والعطاء الحضاري.

5 - رضوان الله تعالى والدين أغلى من كل شيء، لذا أخبر تعالى عن حال كل من المهاجرين والأنصار، فقال سبحانه: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ*وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ

نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الحشر: 8 - 9)، فحُبُّنا لأوطاننا منطلِقٌ من حُبِّنا لعقيدتنا، ولا تبنى الأوطان بناء سليماً إلا من خلال بناء العقيدة القوية في النفوس، ولا تترسخ العقيدة في النفوس إلا بوجود نظام يحمي الفكر الإسلامي من العبث.

6 - القضاء على مظاهر اليأس، ومحاربة الرسائل السلبية، وقد خط النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا المنهج، وأكد عليه في مواقع كثيرة، منها ما كان يوم الخندق، حيث بشر بفتح فارس والشام واليمن، ومنها ما كان يوم حنين، يوم أن صمد هو والقلة القليلة أمام جحافل الكفر، وقلب الهزيمة إلى نصر عظيم، ومنها قوله لخباب ابن الأرت، رضي الله عنه، وهو يخبره عما لاق هو ومن معه من الأذى: (وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنَ صنعاء إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إِلا اللهَ أَوَ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)[1]، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وهو خائف على الرسول، صلى الله عليه وسلم، والرسالة، حيث قال: (لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا) فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، مطمئناً: (يَا أَبَا بَكْرٍ : مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا) [2]، فأنزل الله تعالى قوله: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة: 40)، ومنها قوله لسراقة: (كيف بك وقد لبست سواري كسرى)[3]، وفي

1- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

2- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق، رضي الله عنه.

3- اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون: 2/ 65.

هـذا رسـائل بليغـة للأمـة عـلى مـر تاريخهـا أن لا تيـأس، بـل عـلى العكـس مـن ذلـك أن تكـون الجـراح والآلام والابتـلاءات دافعـاً قويـاً يجعلهـا تقـوم أقـوى ممـا كانـت، تعالـج الخلـل، وتوحد الصف.

7 - البحـث عـن الأمـن والأمـان؛ كان النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، يبحـث عـن الأمـن والأمـان، وعـن محضـن للدعـوة الإسـلامية، بعـد أن ضاقـت مكـة بالمؤمنـين، فكانـت الهجـرة الأولى والثانيـة إلى الحبشـة مـن أجـل الحفـاظ عـلى الإيمـان، ثـم جـاءت الهجـرة إلى المدينـة من أجـل مقصـد الأمـن والإيمـان، والسـلم والسـلام، في دولـة يجـدون فيهـا ذاتهـم ويسـتقلون فيهـا عـن غيرهـم.

8 - حسـن الظـن باللـه تعـالى، والصـبر، واليقـين، طريـق النـصر والتمكـين، ومعرفـة أن العـسر يصاحبـه يـسر، قـال تعـالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} (الشرح: 5 - 6) فوعـد اللـه تعـالى قائـم مـا دامـت الأمـة متجهـة إلى ربهـا، تسـير وفـق منهاجـه؛ لكـن إن تخلـت عـن ذلـك فاللـه سـبحانه في حـلٍ مـن وعـده، قـال تعـالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور: 55)، والنـصر لا يكـون إلا بعـد العمـل، والتضحيـة، والصـدق، والارتقـاء إلى المعـالي، قـال سـبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} (البقرة: 207)، والعـدو مهمـا خطط ودبـر ومكر وتآمر، فهـو لا شيء أمام

تدبير رب العالمين، وهذا المقصد تعلمناه من خلال قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (الأنفال: 30)

مقاصد الهجرة كثيرة ومتنوعة، وهي مستمرة متجددة، والتي منها أيضاً:

• تغليب المصالح العليا على المصالح الخاصة.

• المحافظة على النسيج الاجتماعي، وتأمين حدود الدولة الإسلامية، والعيش مع الأمم الأخرى بسلام، وهذا ما أثبتته الوثيقة التي كانت بين المسلمين واليهود في المدينة.

• التمسك بالمبادئ، ويجب أن يتم العمل على وضوح الرؤية، وتحقيق الهدف.

• ترسيخ معاني الحب بين البشر، واقتسام مقومات الحياة، وتثبيت دعائم الفضائل الإسلامية، وأن المسلمين أمة متكافلة مترابطة، وهذا ما أثبتته المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

وأخيراً: أثبتت الهجرة أن الأمة التي بدأت بفرد واحد، وهو النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم من آمن معه مِن رجالِ العقيدة، استطاعوا في فترة قصيرة من الزمن أن يُغيِّروا معالمَ التاريخ، فإذا أرادت الأمة أن تعيد مجدها الحضاري بين الأمم، وتغير من هذا الواقع المزري، عليها أن تلتمس معاني العزة في سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، رضي الله عنهم، ومن جاء بعدهم.

{وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ}

الـدروس والعـبر مـن الهجـرة النبويـة الشريفـة

أ / فتحي محمود الحسن

معلم وأمين مكتبة متقاعد/ نابلس

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعد؛

الهجرة لُغة: بمعنى ترك.

واصطلاحاً: الامتثال لأوامر الله عزَّ وجل، واجتناب نواهيه.

فالهجـرةُ ليسـت مناسـبة يحتفـلُ بهـا المسـلمون كل عـام، وينتهـي الأمـر، وهـي مُلازمـة للإنسـان طـوال العمـر، عـن عبـد اللـه بـن عمـرٍو، رضي اللـه عنهمـا، عـن النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (المسـلمُ مـن سـلِمَ المسـلمون مـن لسـانه ويـده، والمهاجِـرُ مـن هجـرَ مـا نهـى اللـه عنـه). [*]

أخـي المسـلم: اهجـر المعـاصي والآثـام، واتـرك الكسـل والخمـول، واتـرك الغيبـة والنميمـة، والكـذب والغـش .... إلـخ

بعض الدروس والعبر من الهجرة النبوية الشريفة:

يمكن استخلاص دروس وعبر كثيرة من الهجرة النبوية الشريفة، منها:

1. دراسة السيرة النبوية العطرة، وتطبيقها على أرض الواقع.

2. التخطيط، والتنظيم الدقيق، والأخذ بالأسباب، ساعد في نجاح الهجرة، أمور منها:

* صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

1. جاء محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى بيت أبي بكر وقت الظهر، وقت شدة الحر الذي لا يخرج فيه أحد، ومُلَثماً كي لا يراهُ الناس، والملثم يخفي شخصيته، ويُقلل من إمكانية التعرف إلى معالم وجهه الملثم.

2. الخروج ليلاً من بيت أبي بكر الصديق من الباب الخلفي.

3. السيرُ جنوباً: الأمر الطبيعي والمألوف أن يسير الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة شمالاً، ولكنه سلك جنوباً إلى اليمن للحيطة والحذر، ولتضليل الكفار، ثم أخذ غرباً إلى غار ثور.

4. تضحية أبي بكر الصديق وعائلته بالمال والنفس في سبيل العقيدة الإسلامية.

جهزَّ أبو بكر الصديق راحلتين للسفر من ماله الخاص، وقال للرسول، عليه الصلاة والسلام، اختر أحسنهما، فرفض الرسول، صلى الله عليه وسلم، وقال: ما كان لي أن أركب على بعيرٍ ليس لي، وهذا يعني أن أهل الدعوة لا يكونون عالة على أحد(*).

والهجرةُ ما كان لها أن تنجح أو تتمّ لولا وجود الفئة المستعدة للإيواء والنصرة والإيثار والتضحية لقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (الأنفال : 72)

وقال تعالى:{ويُؤثِرونَ على أَنفُسِهِمْ ولو كان بهم خَصاصَةٌ ومن يوقَ شُحَّ نفسِهِ فأُولئكَ هُمُ المُفلِحونَ} (الحشر : 9)

5. علمتنا الهجرة الشريفة حُب الأوطان: فحُب الوطن من الدين . حُب مكةَ والقدس، وحُب الكعبة والمسجدِ الأقصى المبارك، وشُد الرحالُ إليهما، وزيارتهما، والدفاع عنهما قولاً وفعلاً. لا تترك أرض فلسطين؛ لأنها أرضٌ مُباركةٌ ومُقدسةٌ، وأرضُ رباطٍ . والرباطُ أصلُ الجهادِ وفَرعِهِ .

* السيرة النبوية لابن كثير:2\33.

6. علمتنا الهجرةُ وجوب نُصرة المسلمين بعضهُم بعضاً، مهما اختلفت دِيارُهُم وبِلادُهُم، ما دام ذلك مُمكناً .

وأنتُم أيها المسلمون ... يا ألفي مليون مسلم وتزيدون ....أَوَ لسنا مثل الجسد الواحد، الذي إذا اشتكى منه عُضوٌ تداعى له سائِره بالسهر والحُمى؟ ... فكيف لا تستنكرون ....؟ وبمسلمي بورما لا تدرون .... وتُداسُ كرامتُنا ولا تُبالون ... ويُحرقُ ثاني مساجدكم التي تشدون الرحال إليها فلا تثورون ....وتُهوَدُ مدينتكُم المقدسة ولا تهتمون ... وفي أفغانستان والصومال وليبيا والعراق وسوريا واليمن تتقاتلون ...

7. علمتنا الهجرة النبوية الشريفة كيف تكون الأُخوة والمحبةُ والوحدةُ والأُلفةُ بين المسلمين، وهذا الذي نُريدُهُ من إخواننا الفلسطينيين في الضفة وغزة، من أجل إنهاء الانقسام، وتثبيت المصالحة، وترجمتها عملياً على أرض الواقع، من أجل إقامة الدولة المستقلة.

وهجرتُكَ يا رسول الله كانت سبيلُك إلى النصر، وإقامة الدولة الإسلامية، وعاصمتها المدينة المنورة. وكذلك ستكون هجرتُنا في طريقِنا للعودةِ إلى دِيارنا .

لماذا لم يُهاجر الرسول، صلى الله عليه وسلم، من مكة الى المدينة بوساطة البراق؟ لأن الإسراء بالبراق تشريفٌ وتكريمٌ ربانيٌّ للنبي، صلى الله عليه وسلم، لم يكُن للمسلمين أن يُقلدوه، ولكن الهجرة وسيلةٌ من وسائل الدعوة، على المسلمين جميعاً أن يأخذوا العبر منها إلى يوم الدين، وذلك بالهجرة المعنوية .

أما الهجرةُ البدنيةُ، فقد توقفت بعد فتح مكة لقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: (لا هجرةَ بعد الفتح ، ولكن جِهادٌ ونيةٌ)[*]، لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبة، ولا تنقطعُ التوبة حتى تُشرِقَ الشمسُ من مَغربها.

* صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد والسير .

" في ذِكرى رأس السنةِ الهجريةِ "

قد يحسن في مقام الحديث عن الهجرة ودروسها وعبرها الاستشهاد بأبيات شعرية تعبر عن شيء من ذلك للشاعر : محمد ذياب المسكي (*)

أُسَبِحُ رَبَّ العالمينَ وأَشكُرُ ... وأَحمَدَهُ سُبحانَهُ وأُكَبِر
وقد أَرسلَ الرحمنُ نوراً مُحمداً ... بشيراً نَذيراً بالكتابِ يُذكَّرُ
فصلَّى عليهِ اللهِ ما قال مُسلِمٌ ... مدى الدَهرِ والأيامِ " اللهُ أكبرُ"
فأعظِم بهِ في العِلمِ والخُلُقِ والتُّقى ... وأَعظِم بهِ في الحربِ فهو غَضَنفَرُ
دعاهُ إلهِ العالمينَ لِدَعوة ... يُبشِرُ فيها الناسَ طَوراً وَيُنذِرُ
ولاق من الأقوامِ هُزءاً ونُفرَةً ... وكانَ على هذا وذلك يَصبِرُ
يُناديكُم الإسلامُ أن تَتَخَلَّقوا ... بِأخلاقِهِ فيما يقولُ ويأمُرُ
ألم يأتِنا في كُلِ عامٍ مُحَرَمٌ ... فهل فيهِ شيءٌ قد فَعلناهُ يُؤثَرُ
وُعِدنا وعوداً طالَ منها انتظارُنا ... وما هي للأعصابِ إلا مُخَدِرُ
وكونا يَداً يا قومُ لا تَتَفرَّقوا ... فبالوحدةِ الكُبرى العُروبَةُ تُنصَرُ
ولا نصرَ إلا باتِباعِ نَبيِكُم ... بما جاءَ فيهِ من تَعاليمَ تُنشَرُ

---

* لمحة موجزة عن حياة الشاعر : محمد ذياب المسكي : ولد الشاعر الفلسطيني المرحوم الأستاذ محمد ذياب محمود إسماعيل أحمد إبراهيم في قرية مِسكة / قضاء طولكرم عام 1919 م . نشأ وتربى وتَعلمَ المرحلة الإبتدائية في قرية « مسكة » ، وأكمل تعليمه الأساس في قلقيلية، ثم انتقل في بعثةٍ حكوميةٍ إلى الكليةِ العربيةِ في القدس بسبب نُبوغِه، وتخرجَ فيها بتفوق عام 1941 م . عمل مُعلِماً للغة الإنجليزية في قرى وبلدات فلسطينية قبل النكبة . وفي عام 1949 م عمل في لواء جنين . وفي سنة 1969 م عمل مُوجِهاً للغة الإنجليزية للمراحل جميعها إلى أن تقاعد سنة 1979 م ، وتُوفي في عام 2002 م ، المصدر : « نفحات الزهور من نَفثات الصُدور » تأليف : « محمد ذياب المسكي»، وزارة الثقافة الفلسطينية – رام الله ، ط 1 سنة / 2011 م

وعجلت إليك

د. رأفت محمد الميقاتي

سـبّح إلهـك بُكـرةً وأصيـلا ... واسـكبْ بدمعـك مـا كتمـتَ طويـلا

إن كان كلُّ الكـونِ يهـوي سـاجداً ... طوعًـا وكرهًـا .. كَـثْرةً أو قليـلا

فضلـوع جسـمي لـن تنـام محبّـةً ... والـروحُ تسـجدُ لا تـرومُ بديـلاً

إن يُـنزع القلـب المحـبّ لربـه ... ظـل الشـغافُ يعانـق الترتيـلا

نـمْ تحـت مـيزان التـوكل ضارعـاً ... وتوسَّـد الصـبرَ المريـرَ جميـلاً

فالأنـسُ كلّ الأنـسِ في ملكوتِـه ... وبغـير وَجْـدٍ لـن يكـونَ سـبيلاً

إني عـلى أعتـاب عِـزِّك سـاجدٌ ... فالعـزُّ حقـاً .. أن أكـون ذليـلا

أنـا مَـنْ أنـا .. متضائـلٌ في حـضرةِ ال ... رحمـنِ .. أقـوى إذ أكـون ضئيـلاً

أنـا مَـنْ أنـا .. متـضرعٌ متوسـلٌ ... أنـت المليـكُ ..ومـا ملكـتُ فتيـلا

أنـت الـذي بـرأ الخلائـق كلهـا ... هيهـات غـيرك أن يكـون وكيـلا

إني ارتحلت إلى رياضِ جلالِكم ... فاقبلْ إلهي خضعةً ورحيلا

وسفينتي وُدٌّ أُرَجّي نوره ... وبغير ظلك لنْ أكونَ ظليلا

يا ربِّ شفّع بي الحبيب محمداً ... مالي سواه للودودِ دليلا

إني نزلتُ بجودكم يا مُكرمي ... ما خاب مَن بالله كان نزيلا

إني دخلتُ على رياضِ رجائكم ... حاشاك تحجب من يكون دخيلا

ربّاه جئتك والذنوب تلفُّني ... هل لي بعفوٍ أم أكون قتيلا

هل يُعتَقُ العبدُ الظلوم لنفسه ... من نار هَجْرٍ .. من يكونُ كفيلا

إلاك ربي يا ودودُ تفضلا ... والدَّيْنُ بعد العفو صار ثقيلا

ربّاه إني قد عجلتُ إلى الرضا ... أبدًا يدوم ...وقد خُلقتُ عجولا

وعجلتُ أنجو من غَرورٍ فاتنٍ ... قد كان دومًا للعباد خذولا

ما كان للإنسان أن يرقى إذا ... قطع الحبال وخالف التنزيلا

شوقي إلى الخلاّق يُشعل مهجتي ... فأصيرُ شمسًا لا تُريد أفولا

وبغير قُرب الله أُمسي ظُلمةً ... فلغير ربي لن أكونَ خليلا

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد أحمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حكم قراءة الإمام القرآن من المصحف في صلاة الفرض

السؤال: هل يجوز للإمام القراءة من القرآن الكريم في صلاة الفرض؟ وهل من الأدب ترك المصحف مفتوحاً بعد الانتهاء من القراءة؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد فرق الفقهاء في القراءة من المصحف في الصلاة، فأجاز المالكية والشافعية والحنابلة القراءة من المصحف في صلاة النفل، لا سيما في صلاة التراويح وقيام الليل والكسوف؛ وتحصل في النفل الإطالة، وكثرة القيام، وبالقراءة من المصحف يتحقق ذلك الغرض، ففي الحديث الصحيح (كَانَتْ عَائِشَةُ يَؤُمُّهَا عَبْدُهَا ذَكْوَانُ مِنَ الْمُصْحَفِ) [*]، أما القراءة في صلاة الفرض؛ فالسنة المحفوظة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، القراءة عن ظهر قلب مما تيسر من آيات القرآن الكريم، وذهب بعض

* صحيح البخاري، كتاب الأذان، أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب إمامة العبد والمولى.

أهل العلم إلى كراهة القراءة من المصحف في صلاة الفرض، مع صحة الصلاة، فقد قال الإمام أحمد، رحمه الله، قوله: "لا بأس أن يصلي بالناس القيام وهو ينظر في المصحف، قيل له: في الفريضة؟ قال: لا، لم أسمع فيه شيئاً" وقال القاضي: "كره في الفرض، ولا بأس به في التطوع" [1]، وذهب الحنفية إلى أن القراءة من المصحف تبطل الصلاة، نظراً لانشغاله عن النظر إلى موضع السجود بتقليب الصفحات، وهو عمل كثير.

وعليه؛ فالقراءة من المصحف تجوز في صلاة النفل، ولا تجوز في صلاة الفريضة، وهذا ما أفتى به مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم: 1/ 104 بتاريخ 18 /4/ 2013م، الذي جاء فيه: "جواز القراءة من المصحف في صلاة النافلة، ... وتُمنع في المقابل القراءة منه في صلاة الفرض، لعدم ورود دليل بذلك، مع تذكير المسلمين بمقام الإمامة، وأهميتها، ومسؤوليتها، وينصح المتقدمون لهذه المهمة من موظفين وغيرهم، بالتزود بالحفظ، اقتداءً بالنبي، صلى الله عليه وسلم، في ذلك".

وعند القراءة من المصحف يفضل وضعه على كرسي، وأن لا يوضع على الأرض، من باب الاحترام، وتعظيم شعائر الله، أما إذا لم يتيسر ذلك، فلا بأس في وضعه على الأرض الطاهرة النظيفة، ولا مانع شرعاً من تركه مفتوحاً، والأولى إغلاقه لكي يحميه الغلاف من وصول الماء أو الغبار إليه، وقال الحكيم الترمذي: (وَمن حرمته إِذا وضع الصَّحِيفَة أَن لا يتْركهُ منشوراً، وَأَن لَا يضع فَوْقه شَيْئاً من الْكتب، حَتَّى يكون أبداً عَالِياً على سَائِر الْكتب)[2]

1- المغني: 1/ 648.

2- نوادر الأصول في أحاديث الرسول: 3/ 254.

2. حكم ترك الزوجة عملها بطلب من الزوج

السؤال: ما حكم إلزام الزوجة بترك عملها بطلب من زوجها؟

الجواب: الأصل جواز عمل المرأة في المجالات المباحة ضمن ضوابط، وقد وردت النصوص على مشروعية ذلك، فقد ذكر في القرآن الكريم قصة الفتاتين اللتين كانتا تسقيان الماء؛ لأن أباهما شيخ كبير، فقال تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} (القصص: 23)، وعن الربيع بنت معوذ، قالت: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَسْقِي وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ) [1]، كذلك أجاز الفقهاء عمل المرأة بشرط أمنها على نفسها.

ولحكم عمل المرأة حالتان، هما:

1. أن يكون العمل الذي تقوم به المرأة فرض عين عليها، ومن ذلك:

أ. أن توجد حاجة إلى عملها، كأن تكون طبيبة، ولا يوجد غيرها في البلد، أو قابلة تولد النساء.

ب. أن لا تجد ما يسد حاجتها.

وفي الحالتين المذكورتين ليس لزوجها ولا وليها منعها من العمل، إن كانت ملتزمة بالآداب الإسلامية، واللباس الشرعي، يقول العلامة ابن مفلح، رحمه الله: (وَيَحْرُمُ خُرُوجُ المَرْأَةِ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا بِلا إِذْنِهِ إلا لِضَرُورَةٍ، أَوْ وَاجِبٍ شَرْعِيٍّ) [2]

2. أن يكون العمل غير واجب عليها، بسبب وجود من ينفق عليها، من زوج أو قريب، وهنا

1- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو.

2- الآداب الشرعية والمنح المرعية: 3/ 374، وهذا ينطبق أيضاً على وليها.

يفرق بين الأب والزوج، حيث إن الأب لا يجوز له منعها، إلا إذا كان بحاجة إليها لتخدمه، ونحو ذلك، أو كان في منعها تحقيق مصلحة شرعية، كأن يكون مكان عملها غير آمن.

أما الزوج فينظر، فإن كانت قد اشترطت عليه في عقد النكاح العمل، فلا يجوز له منعها، لقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ)(*)، أما في حال لم تشترط عليه العمل في العقد، فيجوز له منعها، على أن لا يكون القصد من ذلك الإضرار بها، وهذا ما نصَّ عليه قانون الأحوال الشخصية في المادة: 19، التي جاء فيها: "إذا اشترط في العقد شرط نافع لأحد الطرفين، ولم يكن منافياً لمقاصد الزواج، ولم يلتزم فيه بما هو محظور شرعاً، وسجل في وثيقة العقد، وجبت مراعاته"

وينبغي للزوجة أن تطيع زوجها بالمعروف وتمتثل لأمره، وتحترمه وتوقره، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه، وتحفظه في نفسها وماله في حال غيابه، وتعلم أن حق الزوج عليها عظيم، وطاعته مقدمة على طاعة سائر الخلق، ما لم تكن في معصية الخالق، وإذا كان العمل يسبب لها تعباً جسدياً ونفسياً، ويجعلها تقصر في واجباتها تجاه زوجها وبيتها، وفي رعايتها لأبنائها، فعليها أن تعيد النظر في مسألة عملها، وأن تختار ما فيه مصلحة لها ولعلاقتها الزوجية، كذلك على الزوج أن يتحسس مشكلات زوجته، وأن ينصحها ويوجهها للصواب، بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبحث عن الحلول الشرعية لإنهاء الخلاف بينهما، وينبغي للزوجين أن يصبر كل منهما على الآخر، وأن يحاولا حل مشكلاتهما بالرفق واللين والأسلوب الحسن.

* سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب في الصلح، وقال الألباني: حسن صحيح.

وعليه؛ فالأفضل للزوجين التفكير بروية في هذه المسألة، كون المرأة تساعد الرجل في تكاليف الحياة، وكون راتب الرجل غالباً لا يكفي نفقات الأسرة، وينبني الحكم على تغليب الحاجة التي فيها مصلحة الزوجين.

3. حكم العطور المحتوية على كحول، وهل تجوز الصلاة بها؟

السؤال: ما حكم الصلاة بعد استعمال عطور محتوية على كحول؟ وهل تجوز الصلاة بملابس مسها شيء من تلك العطور؟

الجواب: اليسير من الكحول إذا خالط شيئًا طاهرًا مباحًا، يحكم عليه بناءً على مدى تأثيره في الشيء الذي خالطه، فإن ظهر أثره في المخلوط، وأفضى إلى جعله مسكرًا، فيحرم، أما إن استحال أو غُمر واستهلك في الشيء الذي خالطه، بحيث لم يبق له أثر، فلا حرج في استعمال ما خالطه، قال الرافعي، رحمه الله: (المغْلُوب المستهلك كالمعدوم)[1]، وقال ابن تيمية، رحمه الله: (اللَّهَ حَرَّمَ الْخَبَائِثَ الَّتِي هِيَ الدَّمُ، وَالْمَيْتَةُ، وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَإِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ فِي الْمَاءِ، أَوْ غَيْرِهِ، وَاسْتُهْلِكَتْ، لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ دَمٌ، وَلَا مَيْتَةٌ، وَلَا لَحْمُ خِنْزِيرٍ أَصْلًا، كَمَا أَنَّ الْخَمْرَ إذَا اُسْتُهْلِكَتْ فِي الْمَائِعِ لَمْ يَكُنْ الشَّارِبُ لَهَا شَارِبًا لِلْخَمْرِ)[2]، وقال أيضًا: (كُلّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَاءِ فَهُوَ طَاهِرٌ طَهُورٌ، سَوَاءٌ كَانَ مُسْتَعْمَلًا فِي طُهْرٍ وَاجِبٍ أَوْ مُسْتَحَبٍّ، أَوْ غَيْرِ مُسْتَحَبٍّ؛ وَسَوَاءٌ وَقَعَتْ فِيهِ نَجَاسَةٌ أَوْ لَمْ تَقَعْ، إذَا عُرِفَ أَنَّهَا قَدْ اسْتَحَالَتْ فِيهِ، وَاسْتُهْلِكَتْ، وَأَمَّا إنْ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِيهِ، فَإِنَّهُ يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهُ؛ لِأَنَّهُ اسْتِعْمَالٌ لِلْمُحَرَّمِ)[3]

1- العزيز شرح الوجيز: 9/ 556

2- الفتاوى الكبرى: 1/ 252

3- مجموع الفتاوى: 19/ 237

وبخصوص العطور المحتوية على نسبة من الكحول، فينطبق عليها التفصيل السابق، فإذا كان ما يخالطها من الكحول يظهر أثره فيها، ويجعلها مسكرة، فلا يجوز استعمالها، أما إن كانت الكحول مستهلكة، أو استحالت فيها، فلا حرج في استعمالها، ولا تؤثر في طهارة الثوب، ولا في صحة الصلاة، مع أن الأفضل خلوها من الكحول تمامًا؛ احتياطًا للدين، واتقاءً للشبهات.

4. حكم التعامل بالعملة الرقمية (داجكوين)

السؤال: ما حكم التعامل بالعملة الرقمية (داجكوين)؟

الجواب: العملات الإلكترونية تقوم على الغرر الفاحش، وتتضمن معنى المقامرة، وقد ورد النهي عن بيع المجهول وغير المضمون، كما في الأحاديث الناهية عن بيع المضامين والملاقيح، وكذلك النهي عن بيع الغرر، كالسمك في الماء، أو الطير في الهواء، ونحو ذلك مما يدخل في باب بيع الغرر أو المجهول، ومن تلك العملات الإلكترونية عملة "البيتكوين" التي بحث مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين مسألة التعامل بها، وتبنى في قراره رقم: 1/ 158 بتاريخ 14/ 12 /2017م الحكم بتحريمها.

وبالنسبة إلى عملة "داجكوين"، فيبدو أن حكمها لا يختلف عن حكم "البيتكوين"، إضافة إلى أن الطريقة المتبعة في ترويجها هي طريقة التسويق الشبكي، والذي صدر عن مجلس الإفتاء الأعلى قرارات بتحريمه، منها قراره رقم: 1/ 47 بتاريخ 31/ 5/ 2004م، وقراره رقم: 2/ 79 بتاريخ 18/ 3/ 2010م.

وعليه؛ فلا يجوز التعامل بعملة "داجكوين".

5. حكم استخدام تقنية النانو في العلاج

السؤال: : ما حكم استخدام تقنية النانو في العلاج؟

الجواب: كلمة نانو أعجمية، وتعني باللغة الإنجليزية كل ما هو صغير الحجم والجسم، وعلم النانو هو علم يبحث في خواص الذرات، بقصد إعادة ترتيبها بشكل أو بأشكال جديدة مختلفة، للحصول على خصائص ووظائف جديدة للمادة. (*)

وللنانو استخدامات إيجابية كثيرة، مثل تحلية المياه، ومعالجة الأمراض المستعصية، وصناعة السيارات، والصناعات الغذائية، وصناعة المنسوجات، وغيرها، وكذلك للنانو سلبيات، مثل إمكانية الإصابة بالسرطان للعاملين في هذا الحقل، والنفايات الكيماوية السامة المترتبة على هذه الصناعات، وكذلك استخدام النانو في بعض المجالات العسكرية، حيث يمكن استغلاله في عمليات القتل الفتاكة.

وعليه؛ فتجوز استخدامات النانو في المجالات الإيجابية المذكورة أعلاه، ولا يجوز استخدامه في المجالات السلبية.

6. حكم رسم الحاجبين بتقنية (المايكروبليدنج)

السؤال: ما حكم رسم الحاجبين بتقنية (المايكروبليدنج)؟

الجواب: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نهى عن النمص والوشم، ولعن من تفعلهما، فعن عبد الله، رضي الله عنه، قال: (لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُسْتَوْشِمَاتِ،

*موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ تَعَالَى، مَالِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [*]، ووشم الحواجب إن أجري لإزالة عيب أو تشوه، ولا يمنع وصول الماء إلى البشرة عند إرادة الطهارة، فيجوز، ولا مانع من إجرائه، على اعتبار أنه يعالج مشكلة مرضية، وهو ما أفتى به مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم: 3 /83 بتاريخ 5 /8 /2010م، أمّا الوشم الذي يهدف إلى إجراء تعديل مزاجي على شكل الحاجب، أو حجمه، فيندرج تحت مسمّى تغيير خلق الله تعالى المنهي عنه، والمعتبر من عمل الشيطان، والله تعالى يقول نقلاً عن إبليس: {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} (النساء: 119)

وبناءً عليه؛ فرسم الحاجبين بتقنية (المايكروبليدنج)، لا يجوز شرعاً، إلا إذا وجدت ضرورة معتبرة شرعاً تستدعيه.

والله تعالى أعلم

* صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن.

في بيت المقدس:
الراشدون أسسوا.. والأمويون شيّدوا

أ. عزيز العصا

منسق الثقافة والإعلام في الهيئة الإسلامية العليا بالقدس

مقدمة

منذ فتح الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بيت المقدس في عام 15هـ، أرسى قواعد لم تألفها المنطقة عامة، وبيت المقدس خاصة، منها:

1) فتح المدينة واستلام مفاتيحها سلميًا؛ دون إراقة دماء، وفي أجواء من البهجة والسرور من قبل السكان الأصليين، يمثلهم البطريرك صفرونيوس، الذي أصرّ على تسليم المدينة لعمر، وليس لأحد غيره.

2) تميزت هذه العملية بالعهد، والميثاق، والأمن، والأمان، الذي منحته القوة الفاتحة لأهل البلاد الأصليين، من خلال العهدة العمرية، التي أسهمت في تشكيل ملامح المراحل التالية من العلاقة بين مسلمي هذه المنطقة ومسيحييها، وما تتميز به من المحبة، والتسامح، وحالة عدم الاعتداء، واحترام كل منهما لشعائر الآخر، ومشاعره، وطقوسه، وأماكنه الدينية.

ولا بدَّ هنا من الإشارة إلى أنه في تلك الحقبة، كانت مدينة القدس مقسّمة إلى أحياء أو مناطق، باستثناء منطقة المسجد الأقصى، فقد كانت مهجورة، وكان الفرس قد

غـزوْا المدينـة، وسـيطروا عليهـا مـن الحكـم الرومـاني البيزنطـي، وقامـوا بتخريـب كنائسـها، ثـمَّ تمكـن هرقـل مـن طردهـم منهـا. [1]

مـن جانـبٍ آخـر، أخـذ المسـلمون يرسـون دعائـم عمرانيـة متميزة، تحمـل ملامحهـم، وأحدثـوا تغيـيرات جذريّـة في الجـزء الـشرقي مـن المدينـة، الـذي لـم يكـن بـه عمـران أصـلاً، فتوسّـع المسـجد الأقـصى المبـارك، وأحيـط بمنشـآت دينيـة وثقافيـة، وشـكلت منطقتـه النـواة الحقيقيـة لأوقـاف القـدس الإسـلامية؛ إذ تمركـزت حولهـا معظـم المنشـآت الوقفيّـة، وعـلى أساسـها تحـددت معالـم بيـت المقـدس العمرانيـة. [2]

سـوف نتطـرق في هـذه المقالـة إلى مجمـل الأنشـطة الوقفيـة والعمرانيـة الـتي أنجـزت في القـدس، منـذ الفتـح العمـري حـتى أواخـر الحكـم الأمـوي، الـتي سـاهمت في منـح المدينـة المقدسـة تخطيطـاً عمرانيًـا جديـدًا، بهويّـة إسـلامية، وفـق الطـرز المعماريـة المشـابهة لدمشـق والقاهـرة وتونـس.

الوقـف الإسـلامي في القـدس منـذ عهـد الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، حتـى الخلافـة الراشـدة :

كان رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلّم، أول مـن أوقـف في الإسـلام، وكذلـك فعـل الصحابـة، رضـوان اللـه عليهـم؛ إذ كانـوا يوقفـون أموالهـم وأملاكهـم تقربًـا إلى اللـه تعـالى، وفي سـبيله، أمثـال: أبي بكـر الصديـق، وعثمـان، وعـليّ، وطلحـة، والزبـير بـن العـوّام، وعائشـة

1- أبـو خلـف، مـروان، وطوقـان، نادين (2017). النسـيج المعمـاري لمدينـة القـدس عـبر العصـور. في «مجلـة الـتراث والمجتمـع. مركـز دراسـات الـتراث والمجتمـع الفلسـطيني. جمعيـة إنعـاش الأسرة. البـيرة. فلسـطين. العـدد (60). ص: 43 - 61».

2- منـذ الفتـح العمـري أصبحـت المدينـة تعـرف باسـم «إيليـاء» و«بيـت المقـدس»، وبقـي الأمـر كذلـك حـتى العـام (217هـ/832م) عندمـا زارهـا الخليفـة العبّـاسي المأمـون وأمـر بـ«سـكّ نقـود» حملـت اسـم «القدس» بـدل «إيليـاء»، وأطلـق عليهـا العثمانيـون «القـدس الشريف» (عـن: بيضـون، عيـسى (2010). تاريـخ وعمـارة الحـرم الشريـف. دار مجـدلاوي للنـشر والتوزيـع. عمّـان. الأردن. الطبعـة الأولى. ص: 14 - 15).

أم المؤمنين، حيث أوقفوا أموالهم على سبيل التأبيد. [1]

وأما في فلسطين، فبعد وقف الرسول، صلى الله عليه وسلّم، لـ"تميم الداري" في مدينة الخليل وقفًا ذُرِّيًّا[2]، واقتداءً بالرسول، صلى الله عليه وسلّم، أوقف الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، عين سلوان على القدس.

وأما على مستوى العمران الوقفي الإسلامي في القدس، فلم يكن -بأي حال- على حساب الآخرين، وقد بدئ به على يد فاتح المدينة الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه؛ الذي بنى للمسلمين مُصلّى في الساحة الجنوبية للمسجد الأقصى، علماً أن مصطلح المسجد الأقصى ليس قاصراً على المصلى، وإنما يشمل ساحته المسوّرة وما عليها أيضاً من مبانٍ ومعالم عمرانية، التي تقدر مساحتها بـ(144) دونمًا، وكان المصلّى القبلي يتسع لـ (1,000) مصلٍّ[3]، ويرجّح الباحث عبد الله معروف أن مؤذن الرسول، صلى الله عليه وسلم، "بلال بن رباح" رضي الله عنه، كان أول من أذن في هذا المسجد. [4]

الأمويون يعمرون المكان ويشيدون العمران:

كان معاوية بن أبي سفيان (20ق هـ- 60هـ/ 603م- 680م) مؤسس الدولة الأموية على دراية بالمنطقة، فقد كان على علاقة قوية مع بيت المقدس؛ إذ شهد الفتح العمري[5]، وعلى علاقة ببلاد الشام؛ إذ كان الفاروق قد ولاه ولاية من الشام، وضم إليه عثمان سائر الشام، وألحق به أقاليمها من الجزيرة إلى شواطئ بحر الروم، فلما

1- سرور، موسى (2012). دور الأوقاف الإسلامية في التنمية العمرانية في القدس. مجلة حوليات القدس. العدد (14). ص: 64 - 70.

2- الهدرة، أحمد وآخرون (1988). وقفيّة الست أمينة الخالدي. قسم إحياء التراث الإسلامي. بيت المقدس. ط1. ص: 8.

3- خويص، رياض، والعكرماوي صلاح (2011). تحقيق: رسالة شريفة في زيارة بيت المقدس لابن تيمية (728هـ/1626م). وزارة الثقافة الفلسطينية، ووزارة الأوقاف الفلسطينية. ص: 35.

4- معروف، عبد الله (2018). المدخل إلى دراسات بيت المقدس. مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع. عمّان. الأردن. ص: 95.

5- المرجع السابق، ص: 98.

قتل عثمان (35 هـ/656م) كان قد مضى على معاوية في ولاية الشام عشرون سنة.[1]

بعد صراع وقتال بين معاوية وعليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهما، وبعد تولّي الحسن بن عليّ بن أبي طالب الخلافة لستة أشهر، قام الحسن في (25 ربيع الأول 41هـ/ 6 نيسان 661م) بالتنازل عن الخلافة لمعاوية.[2]

منذ أن استقر الحال لمعاوية، استهل عهده بالذهاب إلى بيت المقدس، حيث أعلن نفسه خليفة على المسلمين، وبايعه الناس فيما بعد. وقد قوى صلته بالقبائل في فلسطين بزواجه من ميسون بنت بحدل الكلبي، التي ولدت له ولي عهده يزيد، فغدت هذه القبائل سند حكمه، وحماة ابنه وولي عهده من بعده.[3]

لقد نال بيت المقدس اهتمامًا خاصًا من معاوية وباقي الخلفاء الأمويين لأسباب دينية وسياسية؛ فتلقى عدد منهم البيعة في بيت المقدس؛ كعبد الملك بن مروان، وسليمان بن عبد الملك، الذي همّ باتخاد القدس عاصمة له، وكان ولاة فلسطين من الأمراء الأمويين[4]، كما أن مدينة بيت المقدس ظلّت عاصمة لفلسطين منذ الفتح العمري، وحتى أواخر العهد الأمويّ.[5]

وأما بشأن العمران –أو الأوقاف الخيرية- فقد شاد الأمويون في المدينة صروحًا عظيمة، أهمها:

1-المرجع السابق، ص: 99.

2- العقاد، عباس محمود (2012). معاوية بن أبي سفيان. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة. ص: 23؛ شاكر، محمود (1998). معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، وأسرته. المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. ص: 93.

3-شاكر، محمود (1998). معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، وأسرته. المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. ص: 158.

4-الموسوعة الفلسطينية. انظر الرابط الآتي (شوهد في 22 /05 /2019): https://www.palestinapedia.net/

5- الدوري، عبد العزيز (1992). القدس في الفترة الإسلامية الأولى (من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر). في «القدس في التاريخ. تحرير كامل جميل العسلي. الجامعة الأردنيّة. عمان. الأردن». ص: 129 - 157.

أولًا: لمّا جاء زمن معاوية (41هـ - 60هـ/ 661م- 680م) كان المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب قد بدأ بالاهتراء وأصابه الخلل بسبب قِدم أخشابه، فقام معاوية بإعادة بنائه على هيئة أوسع، فبناه من الحجارة، وصار في زمانه يتسع لـ (3,000) مصلٍّ، وكان هو البناء الوحيد الموجود في ساحة المسجد الأقصى المبارك. [1]

وفي حدود عام 49 - 50هـ/670م أورد الرّحّالة (أركولف)[2]، وصفًا لمسجد بسيط يقع في ساحة المسجد الأقصى الجنوبية، أقيم على روابط (خشبية) عظيمة من مواد أعيد استخدامها كانت متوافرة في المنطقة، وأفاد بأن هذا المسجد "المصلّى" كان يتسع لثلاثة آلاف مصلٍّ، وهذا هو الجامع الأقصى الأول، الذي لم يبقَ من آثاره شيء.[3]

ثانيًا: عندما تسلّم عبد الملك بن مروان الحكم (65هـ - 86هـ /684م- 704م)، وكان معروفاً بغيرته الشديدة على العروبة والإسلام، حقق عددًا من الإنجازات العمرانيّة المهمّة في بيت المقدس، والتي تتلخّص بما يأتي:

1) في العام (66هـ/685م) حضر عبد الملك إلى بيت المقدس، وأمر ببناء القبة على الصخرة المشرفة، فصُنعت له القبة الصغيرة، شرقي قبة الصخرة الحالية -يقال لها قبة السلسلة-، فأعجبه تكوينها، وأمر ببناء قبة الصخرة كهيئتها، ووكل في ذلك: رجاء بن حيوة، ويزيد بن سلام، وأمرهما أن يفرغا المال عليها إفراغًا، دون أن ينفق إنفاقًا. [4]

استغرق العمل في هذا البناء العملاق سبع سنوات (حتى 72هـ/691م)، أنفق خراج مصر بالكامل عليه، وكان عبد الملك قد كلف ابنه "الوليد" بالإشراف المباشر على

1- عثامنة، خليل (2000). القدس عاصمة فلسطين في صدر الإسلام. مجلة الكرمل. العدد (65). ص: 172 - 198.

2- معروف، عبد الله (2018). المدخل إلى دراسات بيت المقدس. مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع. عمّان. الأردن. ص: 99.

3- زار هذا الرّحّالة القدس في نهاية عهد الخلفاء الراشدين وبداية العهد الأموي، وتحديدًا في زمن معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه.

4- النتشة، يوسف (2013). مسارات وجولات من السياحة الرديفة في مدينة القدس. التجمع السياحي المقدسي. القدس. ص: 143.

بناء القبة. فكانت قبة الصخرة المشرفة المثمنة الشكل، فيها أربعة أبواب، وقد بنيت على ثماني مداميك -أعمدة كبيرة- تحمل القبة، مما يذكرنا بقوله تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} (الحاقة: 17)، وبنى الأمويون في الجانب الغربي من قبة الصخرة ثلاثة محاريب متجاورة، تذكر بالأماكن الثلاثة المقدسة في الإسلام: مكة والمدينة وبيت المقدس، وسبعة محاريب متجاورة في الجانب الشمالي تذكرنا بالسماوات السبع، والأراضين السبع، كما أن ترتيب الأعمدة من الداخل يذكرنا بأركان الإسلام الخمسة، وبالصلوات الخمس التي فرضت علينا في هذا المكان.[1]

2) تم في الفترة نفسها، ومن قبل المشرف العام نفسه والموكلين، تنفيذ أمر عبد الملك بإعمار المسجد، فتم البناء والعمارة من شرقي المسجد إلى غربيه من السور، الذي عند المكان المعروف الآن بجامع المغاربة[2]، فبعد إتمام بناء القبة، رجع الوليد إلى دمشق، فأوفده والده مرة أخرى إلى بيت المقدس؛ لإتمام بناء المسجد، فشرع في بناء الجامع القبلي، مبتدئًا ببناء التسوية الجنوبية -الممتدة من الشرق إلى الغرب-، فكان ذلك المسجد بحجم (15) رواقًا؛ أي أن حجمه ضعفي حجم المسجد الحالي، ويروى أن عبد الملك توفي أثناء العمل في هذا المسجد.[3]

3) وأما بشأن السور، فتذكر المصادر التاريخية أن عبد الملك بن مروان أعاد بناء جدار منطقة المسجد، وبشكل أساسي الجدار الشرقي الموجود عليه الباب الذهبي، الذي يطلق عليه أيضاً (باب التوبة، والرحمة، وباب النبي)، وكذلك الجدار الجنوبي الغربي الذي فتح فيه بابان: الباب الثلاثي والباب المزدوج، وكلا الجزئين يشكلان جزءًا من سور المدينة الكبير.[4]

1- الحنبلي (1973). 1/ 272-273.

2- معروف (2018). ص: 102 - 104.

3- الحنبلي، مجير الدين (1973). الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل. مكتبة المحتسب. عمان. الأردن. 1/ 273.

4- معروف (2018). ص: 104 - 105.

ثالثًا: لم يتوقف الأمر عند أبنية عبد الملك وإعماره، بل استمرَّ ذلك من قبل من خلفه؛ فلما ولي سليمان بن عبد الملك بعد أخيه "الوليد" سنة (96هـ/614م) كان يجلس في قبة في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة، ولعلها القبة المعروفة بـ "قبة سليمان".[1]

رابعًا: القصور الأموية:

كما علمنا سابقًا، فإن الخلفاء الأمويين اعتادوا الإقامة في بيت المقدس، حتى بدت وكأنها عاصمة الخلافة، الأمر الذي تطلب إقامة الأبنية القادرة على استيعاب أنشطتهم السياسية والعمرانية في هذه المدينة المقدسة. كما علمنا أن الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) كان على دراية ببيت المقدس وحاجته من الإعمار. فعندما تولى الوليد الخلافة استكمل مشروع إعادة إعمار القدس، الذي بدأه أيام والده، كما استمر الخلفاء الآخرون على المنهج نفسه في الإعمار.

لذلك، كان ذلك البناء الضخم، الذي يربض جنوب غرب المسجد الأقصى المبارك، يقوم على مساحة تبلغ نحو (15) دونماً، شكلت ما يعرف بتاريخ صدر الإسلام بدار الإمارة، عند الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأقصى ما بينه وعين سلوان، وفق البيانات الآتية:[2]

1) عبارة عن أربعة مبان: ثلاثة قصور، أحدها يسمى بالقصر الكبير (العظيم) بمساحة (96م×84م)، ومصلّى في المقبرة. ويعتقد أن أحد القصور المتعددة قد أنشأها عبد الملك، وأغلب الظن أن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، يقف وراء إنشاء القصر الكبير، ويعتقد أيضاً أن أمراء آخرين من بني أمية قد بنوا قصوراً لهم إلى جانب قصر الخليفة.

1- أبو خلف (2010).

2- الحنبلي (1973). 1/ 281 - 282.

2) اعتاد الخليفة أن ينزل في أحد تلك القصور، خلال زيارته للقدس، التي كانت تتخذ مقراً للوالي، وكبار خاصة الخليفة من رجال الدولة، والقيمين على المسجد الأقصى المبارك. ويظهر على سور المسجد الأقصى الجنوبي الملاصق للقصر الكبير، آثار المدرسة الختنية للحديث والفقه، وإلى جانبه الباب المزدوج، الذي كان يصعد منه الخليفة الأموي مباشرة إلى المسجد الأقصى ليؤم المصلين.

3) اتخذت فيها دار الأخماس، وحمامات، ومخازن، ومقبرة، وقنوات جر مياه الشرب وصرفها إلى آبار؛ يتسع الواحد منها لـ (800) م3 من الماء. كما تحتوي المنافع التي عادة ما ينتشر استخدامها في المباني، من مطبخ، ودورة مياه، وغيرها.

4) كان هناك شارع مبلط، بعرض (4,3) أمتار يفصل بين المسجد الأقصى وهذه القصور.

5) بعد انتهاء الخلافة الأموية، أهملت تلك المباني وهجرت، وتأثرت في الزلازل التي ضربت بيت المقدس أواخر العهد الأموي، ومطلع العهدين العباسي والفاطمي، علاوة على تداعي الفتن والحروب بين الفاطميين والسلاجقة، والاحتلال الفرنجي الذي استكمل الهدم، واستخدم حجارتها في تحصيناته الجديدة.

الاحتلال ينكر التاريخ ويهوّد المكان:

بالاطّلاع على مقالة، تتألف من بضع فقرات -باللغة الإنجليزية- منشورة على موقع وزارة خارجية الاحتلال، بعنوان:[*]

"Archaeological Sites in Israel-Jerusalem- Umayyad Administration Center and Palaces"

وجدتُ في هذه المقالة -القصيرة- العديد من المغالطات التاريخية، بدءًا بادعاء

* منظمة التحرير الفلسطينية: دائرة شؤون القدس، انظر الرابط الآتي (شوهد في 23 /05 /2019): http://alqudsgateway.ps/wp/?p=3760

مجلة معًا الإلكترونية (2013). العدد (53). انظر الرابط الآتي (شوهد في 23 /05 /2019): http://www.maan-ctr.org/magazine/Archive/Issue53/topic3.php

https://mfa.gov.il/mfa/israelexperience/history/pages/archaeological%20sites%20in%20israel%20-%20jerusalem-%20umayya.aspx (23/05/2019)

الاحتلال العسكري للقدس، دون الإشارة إلى استلام الخليفة عمر بن الخطاب لمفاتيح القدس "سلميًا" من البطريرك صفرونيوس. كما أن الكاتب "يتعفف" عن استخدام مصطلح المسجد الأقصى المبارك، أو الحرم الشريف الذي يضعه بين قوسين عندما يضطر لاستخدامه، في حين أنه يتحدث عن الهيكل، وجبل الهيكل، وحجارة الهيكل بطلاقة، وكأن القصور بنيت بجانب "هيكل قائم" في حينه أو على أنقاضه.

وأما النتيجة المأساوية التي اقترفت بحق الآثار والتاريخ فهي قيام الاحتلال، بمنطق السطوة والقوة، بتحويل منطقة هذه القصور إلى حدائق توراتية، ضاربًا بعرض الحائط أي قيمة لتاريخ هذه المدينة تختلف مع توجهاته الأيديولوجية المفتعلة. ويأتي ذلك في الوقت نفسه الذي يتربص بالمسجد الأقصى المبارك -بمساحته الكلية-، محاولًا تهويده وتحويل ساحاته وباحاته إلى حدائق توراتية، وإقامة "الهيكل" المزعوم بعد محو قبة الصخرة المشرفة والمسجد القبلي وما يتبعهما من عمران وملامح حضارية.

الخاتمة

تستخلص من هذه المقالة نتائج مهمة، تتمثل في أن المسلمين، منذ اللحظة الأولى لتسلمهم بيت المقدس "سلميًا"، أخذوا على عاتقهم تجنب الاعتداء على غيرهم من أصحاب الديانات والمعتقدات التي تشاركهم المدينة، لا سيما المسيحيين منهم، تنفيذاً للعهدة العمرية التي تمسك بها المسلمون -وما يزالون- إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

كما يلاحظ أن المسلمين -قادة وأفراداً-، لا سيما الأمويين منهم، قد حافظوا

على هيبة بيت المقدس ومهابته الدينية، وعززوها بمنحهم هذا المكان المقدس مكانة سياسية؛ من خلال إقامة الخلفاء فيه وبنائهم القصور، التي تشير إلى أن الخليفة -في الحقب المختلفة- كان يقيم لفترات طويلة في بيت المقدس؛ يسيّر فيها شؤون الأمة، ويدير أحداثها الكبرى والصغرى.

وأما بشأن الإعمار الذي حققه الأمويون، فإن مزيداً من القراءة للمصادر والمراجع المختلفة، تصل بك إلى قناعة مفادها أن ما قام به الخلفاء الراشدون والأمويون في بيت المقدس هو تلبية لمتطلبات العقيدة المرتبطة بهذه المدينة -أرض الإسراء والمعراج-، كما يلمح شدة تعلق الأمويين ببيت المقدس؛ بدءًا بالخليفة وانتهاءً بأصغر عامل. فقد أورد مجير الدين الحنبلي تفاصيل تتعلق بالتعامل "اليوميّ" في إدارة شؤون قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك خلال حقبة الأمويين، وما فيه من حرص شديد على منح المكان أقصى درجات الدقة، والتميز،والنقاء، والصفاء، والنظافة منقطعة النظير، والرائحة العطرة الزكية، وبذل الأموال في سبيل ذلك دون حساب، تنفيذًا لتعليمات الخليفة عبد الملك بن مروان وأوامره "أن يفرغ المال إفراغًا دون أن ينفق إنفاقًا".

كي لا ننسى

مجازر تُدان فيها الضحية ويُكرّم المجرم القاتل

أ. يوسف عدوي
جامعة بيت لحم - كلية التربية

مقدمة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، إمام المرسلين، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن استنَّ بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

فإن حرب الإبادة الجماعية التي تشنها عصابات الحركة الصهيونية، والمتمثلة اليوم بما يسمى جيش الدفاع لدولة الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، الذي ينشد السلام دائماً، مستمرة من قبل سنة 1948م حتى كتابة هذا المقال، حيث ارتكب الصهاينة أكثر من (120) مجزرة مسجلة بتفاصيلها ودقائقها، ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المدنيين الفلسطينيين، معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، وثّقتها مصادر فلسطينية وعربية ودولية. وتهدف هذه المجازر إلى قتل أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين وترويع الشعب وإخافته، وجعله يترك أرضه وينساها، ويهجر قضيته ووطنه بلا رجعة، ولكن هيهات لهم ذلك، فما زال الفلسطينيون، شعباً وقيادة، متمسكين بأرضهم وحقوقهم وثوابتهم، مهما حصل.

في هذه المقالة البحثية سأحاول أن أقف على ثلاث مجازر ضخمة وكبيرة، ذهب ضحيتها أكثر من (5000) شهيد فلسطيني، تحمل في نفوسنا إلى يوم الدين جروحهم

وذكراهم التي لا تندمل، وهي مجزرة كفر قاسم، ومجزرة صبرا وشاتيلا، ومجزرة المسجد الإبراهيمي، فيها دروس للأجيال القادمة؛ كي لا ننسى، نقف عندها واحدة واحدة لإجمال التعريف بها، على النحو الآتي:

(1) مجزرة كفر قاسم:

كفر قاسم قرية فلسطينية، تبلغ مساحتها (58) دونماً، وتتبعها أراض مساحتها (12765) دونماً، وهي آخر قضاء طولكرم من الجنوب. ارتكبت القوات الصهيونية يوم الإثنين 29 - 10 - 1956 بحقها مجزرة مروعة على أيدي ما يسمى بحرس الحدود، حيث صدرت الأوامر بمنع التجوال على القرية، وأبلغ المختار وديع أحمد صرصور قوات الاحتلال بوجود (400) شخص من أهالي القرية خارج بيوتهم، فوعده قائد الوحدة بتسهيل عملية عودتهم، لكن هؤلاء اليهود لا يرقبون فينا إلاً ولا ذمة، كما قال سبحانه وتعالى: {كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} (التوبة :8) فكان يتم احتجاز العائدين في مجموعات عند طرف القرية الغربي، وقتلهم جميعاً بإطلاق الرصاص عليهم، فكانت حصيلة الضحايا (49) شهيداً، وعندما كشف النقاب عن المجزرة، حوكم القتلة بمحكمة صورية، وصدرت بحقهم عقوبات هزلية مخففة، وأبرز القتلة المقدم ألوف شدمي، قررت المحكمة أنه مذنب بخطأ فني، وغرمته قرشاً إسرائيلياً واحداً، وعرف لدى الفلسطينيين فيما بعد بقرش شدمي. (*)

لقد كان هذا المجرم شدمي الذي غرم قرشاً واحداً قد طالب شموئيل مالينكي قائد الوحدة العسكرية في القرية بأن يفرض حظر التجوال على القرية، ليس بطريقة

*موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، ص519 .

الاعتقال، بل بإطلاق النار، وعندما سُئل عن مصير العائدين إلى القرية بعد دخول حظر التجوال حيز التنفيذ، قال شدمي: «الله يرحمه، لا أريد مشاعر» [1] وبناء على أوامر شدمي، كانت أوامر ملازم غبرائيل داهان لسريته الموكلة بكفر قاسم، إن إطلاق النار بهدف القتل دون تمييز بين النساء والأطفال والرجال عمل مشروع. [2]

وقد علق دافيد بن غوريون رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي المحتل، ووزير الدفاع، وهو يتصبب خجلاً من المجزرة، بقوله: «لن يتكرر هذا الأمر في إسرائيل» وذلك أمام الكنيست في جلسة 12- 12- 1956،[3] لكن التاريخ كذب تعهد بن غوريون هذا، ولا ننسى أنه من قال في الخمسينيات من القرن الماضي: «نحن نحتاج إلى اتفاق مع العرب، ولكن ليس لتحقيق السلام في هذا البلد، السلام شيء حيوي حقاً بالنسبة إلينا، فلا يمكن لدولة أن تبنى وهي في حالة حرب، ولكن السلام لنا هو مجرد وسيلة، والهدف هو الوصول بالصهيونية إلى أعلى غاياتها، لهذا السبب فقط نحتاج إلى السلام، فالشعب اليهودي لا يجرؤ أن يقبل أي اتفاق لا يخدم هذا الهدف» [4]

صدر كتاب «مذبحة كفر قاسم سيرة ذاتية سياسية» سنة 2018م عن دار الكرمل، وهو البحث التاريخي الأول الذي كتب عن المذبحة، ويكشف للمرة الأولى شهادة شدمي، حيث قال: كانت محاكمته صورية معروفة نتائجها سلفاً وتمثيلية، ويقول: إن من أسباب المذبحة كانت ضغطاً من أعلى لإخفاء عملية (الخلد)، وهي خطة سرية لطرد عرب المثلث إلى الأردن، والتي لم تكشف حتى الآن. ويقول: «موضوع كفر قاسم يقلقني

1- كفر قاسم المجزرة السياسية، (1976م)، إميل حبيبي، ص13 .
2- المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني (1948 – 2001)، ط6 (2001)، ص54 .
3- المرجع السابق نفسه، ص56 .
4- مجلة فلسطين (1994)، العدد الأول، ص1 .

طـوال الوقـت؛ لأنـه لغـم دسـت عليـه، ولكـن نحـن نعيـش بالبندقيـة، ولولاهـا نحـن غـير موجوديـن، فأنـا أحترمهـا؛ لأنهـا تحمـل في داخلهـا المـوت» [1]

شـهداء المجـزرة: للشـهداء منزلـة كبـيرة في ديننـا وواقعنـا، فهـم الأحيـاء عنـد ربهـم، والشـموع الـتي مـا زالـت مشـتعلة لتـضيء لنـا درب الحريـة نحـو التحريـر، فجديـر بنـا أن نكرمهـم ونخلدهـم بذكرهـم مـا اسـتطعنا، ومـن شـهداء هـذه المجـزرة :

صفـا عبداللـه صرصـور (45) عامـاً، فاطمـة صالـح صرصـور (14 عامـاً)، زغلولـة أحمـد عيـسى (45 عامـاً)، عثمـان عبـد عيـسى (30 عامـاً)، فتحـي عثمـان عيـسى (12 عامـاً)، طـلال شـاكر عيسى (8 أعـوام)، حلـوة محمـد بديـر (60 عامـاً)، آمنـة قاسـم طـه (50 عامـاً)، بكريـة محمـد طـه (17 عامـاً)، عـلي نمـر فريـج (17 عامـاً)، صالـح سـلامة عامـر (18 عامـاً)، ريـاض رجـا حمـدان (8 أعـوام).[2]

(2) مجزرة صبرا وشاتيلا:

صـبرا وشـاتيلا مخيمـان فلسـطينيان في بـيروت الغربيـة في لبنـان، لجـأ إليهمـا الفلسـطينيون اللاجئـون الذيـن شردوا وطـردوا مـن قراهـم ومدنهـم وبيوتهـم عـام 1948م بقـوة سـلاح العصابـات الصهيونيـة (شـتيرن، والأرغـون الهاغانـاة) بعـد أن قتلـوا الآلاف مـن الشـعب الفلسـطيني الأعـزل، ودمـروا بيوتهـم ونسـفوها، ويسـكن المخيمـين المتجاوريـن بعـد خـروج القـوات الفلسـطينية منهمـا عـام 1982م حـوالي خمسـة عـشر ألـف لاجـىء، معظمهـم مـن النسـاء والأطفـال والشـيوخ.

كثـيرة هـي المذابـح الـتي تعـرَّض لهـا شـعبنا الفلسـطيني خـلال المائـة عـام الماضيـة،

1- جريدة الحياة الجديدة، 13 /10 /2018م، العدد 8217، ص8، شؤون إسرائيلية .

2- المجزرة على حقيقتها، الذكرى الأربعون لمجزرة كفر قاسم، مجلس كفر قاسم المحلي،1996م، ص30 .

مـن الاحتلالـين البريطـاني والصهيـوني، ولـكل مجـزرة قصـص وحكايـات صدمـت العالـم، وحرَّكـت مشـاعره، وأدمـت قلبـه، ولكـن لمجـزرة صـبرا وشـاتيلا وقـع خـاص، إذ تعـدُّ أكـثر الفصـول دمويـة في تاريـخ شـعبنا، والتاريـخ العالمـي ببشـاعتها، وطريقـة تنفيذهـا، وعـدد الضحايـا والشـهداء، حيـث اسـتمرت ثلاثـة أيـام بلياليهـا: 16، 17، 18 /9 /1982م بقيـادة المجـرم الهالـك شـارون، وزيـر الحـرب الصهيـوني، ورفائيل إيتـان قائـد أركان الجيـش الصهيوني المحتـل في حكومـة سـفاح مجـزرة ديـر ياسـين (9 /4 /1948م) مناحيـم بيغـن، وقائـد جيـش لبنـان الجنـوبي العميـل سـعد حـداد، وقائـد الكتائـب المتنفـذ إيـلي حبيقـة. حيـث كانـت مهمـة جيـش الاحتـلال الصهيـوني محـاصرة المخيمـين، وإنارتـه ليـلا بالقنابـل المضيئـة، ومنـع هـرب أي شـخص، وعـزل المخيمـين عـن العالـم، وبهـذا تسـهل المهمـة عـلى القـوات اللبنانيـة العميلـة للصهاينـة لقتـل الأبريـاء الفلسـطينيين دون خسـارة رصاصـة واحـدة، وبوحشـية لـم يشـهد لهـا العالـم، ولا التاريـخ مثيـلاً.

ومـا كان السـفاحون مرتكبـو المجـزرة ليجـرؤوا عـلى مجـرد الاقـتراب مـن المخيمـين لـو بقيـت القـوات الفلسـطينية هنـاك، ولكـنَّ المؤامـرة الأمريكيـة والصهيونيـة والعربيـة بإخـراج المسـلحين الفلسـطينيين وإجلائهـم مـن لبنـان كانـت السـبب لهـذه المجـزرة، حيـث تعهَّـد المبعـوث الأمريـكي فيليـب حبيـب آنـذاك لمنظمـة التحريـر الفلسـطينية بحمايـة المخيمـات، وكالمعتـاد مـارس الرؤسـاء العـرب الضغـط الكبـير عـلى المنظمـة، لتوافـق عـلى الأوامـر الأمريكيـة وتنفذهـا. [*]

* أمكن الوصول إليه في 25 /6 /2019م، https://www.alhadath.ps/article/64700/35

المجزرة وعدد شهدائها:

اختلفت الروايات حول عدد شهداء مجزرة صبرا وشاتيلا، وفي كل الحالات والروايات تراوح العدد ما بين (3000 و 5000) شهيد، عائلات كاملة أزهقت وأبيدت، ولم يبق منهم أحد، فبدأت المجزرة بدخول ثلاث فرق من قوات الكتائب العميلة إلى المخيمين، وكل فرقة تتكون من خمسين مسلحاً، بحجة وجود 1500 مسلح فلسطيني في المخيمين، وقامت المجموعات المارونية بالإطباق على سكان المخيمين، وأخذوا يقتلون المدنيين العزل قتلاً بلا هوادة، أطفال في سن الثالثة والرابعة وجدوا غرق في دمائهم، حوامل بقرت بطونهن، ونساء تمَّ اغتصابهن قبل قتلهن، رجال وشيوخ ذبحوا بالسكاكين، وقطعت رؤوسهم بالبلطات والسواطير، أكثر من خمسين ساعة من القتل المستمر، وسماء المخيم مغطاة بنيران القنابل المضيئة ليلاً[1].

لقد كان بين الشهداء لبنانيون ومصريون وسوريون وأردنيون وسودانيون وجزائريون، ولكن الغالبية العظمى كانوا من الفلسطينيين. ومن الشهداء الفلسطينيين: قاسم محمود أبو حرب، ووليد قاسم أبو حرب، وحسن قاسم أبو حرب، وعايدة محمود أبو ردينة، ومن الشهداء الأردنيين: محمود أبو ديب، ورياض محمود، ومن الشهداء اللبنانيين: منير أبو ذهب، وعلي أسعد، ومن الشهداء السوريين: ياسر أبو ياسر، وناصر أبو ياسر، ومن الشهداء المصريين: فرج إبراهيم، وإمام سمرجي، ومن الشهداء الجزائريين: إسماعيل أبو يحيى، وآمال هيرات.[2]

حتى اليوم لم يستطع العالم محاسبة المجرمين ومحاكمتهم، بل على العكس

1- أمكن الرجوع إليه في 26 /6 /2019م، https://ar.wikipedia.org/wiki

2- أمكن الرجوع إليه في 25 /6 /2019م، info.wafa/ar-page.aspx?id=7625

يتم تكريمهم وترقيتهم، فيكون السفاح القاتل مكرَّما، والضحية هي المدانة، وشهد كيان الاحتلال الصهيوني أضخم تظاهرة ضمَّت حوالي نصف مليون متظاهر من شعب الاحتلال الإسرائيلي احتجاجاً على المجزرة، وفي الوقت ذاته يستقيل شارون من منصب وزير الدفاع، ويعين في منصب وزير بلا وزارة، وبعد ذلك تمَّ انتخابه رئيساً للحكومة، وقام بمجازر عديدة في الأراضي الفلسطينية، ولم تتم محاكمته رغم ثبوت التهم عليه.

توثيق وتمثيل فني للمجزرة:

إن هذه المجزرة الرهيبة تستوطن الذاكرة، إنها جريمة بربرية لا تغتفر، ولا تنسى. مجازر تتلوها مجازر، بهدف استئصال وجودنا من فلسطين، أو من أي مكان قريب منها، حتى من كل العالم، يريدونا أن نتبخر، ولا يكون لنا وجود على الكرة الأرضية. لقد تأثر كثير من الفنانين الفلسطينيين والعرب بالمجزرة، وصنعوا أعمالاً فنية خاصة بها، من بينهم: ناجي العلي، وعبد الحي مسلم، وضياء الغزاوي، وسامي محمد، وعدنان يحيى، وإسماعيل شموط، وغيرهم. وفي عام 2008م صدر فيلم وثائقي تحريكي إسرائيلي، كتبه وأخرجه آري فولمان، باسم (فالس مع بشير) ويتحدث الفيلم عن اجتياح سلطات الاحتلال الإسرائيلي جنوب لبنان، ودور إسرائيل في المجزرة وتيسيرها، وصدرت كتب عدة تتحدث عن المجزرة، وتصف بشاعتها، من بينها: كتاب (من بيروت إلى القدس) للطبيبة الجراحة آنغ سوي تشانغ، من سنغافورة، وكتاب (مجزرة صبرا وشاتيلا) وهو كتاب توثيقي للمؤلفة بيان نويهض الحوت، والذي صدر سنة 2002م، واستمرت الكاتبة في إعداده وتوثيقه بشكل كامل عشرين سنة[*].

* أمكن الوصول إليه في 25 /6 /2019م، https://www.alhadath.ps/article/64700/35

(3) مجزرة المسجد الإبراهيمي:

مجـزرة في رحـاب الأنبيـاء، في مسـجد سـيدنا إبراهيـم الخليـل أبـو الأنبيـاء، تسـيل الدمـاء الطاهـرة، دمـاء المصلـين السـاجدين للـه، فاعتـبرت أفظـع مجـزرة شـهدتها الأراضي المحتلـة منـذ عـام 1967م، والمحتـل دائماً يكـون الخصـم والقـاضي، ويمنعنـا حـتى مـن أن ندافـع عـن أنفسـنا، أو أن نسـعف جرحانـا، أو أن نـواري شـهداءنا الـتراب. ففـي فجـر يـوم الجمعـة 25 /2 /1994م أقدمـت مجموعـة مـن المسـتوطنين المجرمـين، يقودهـم الإرهـابي بـاروخ غولدشـتاين، طبيـب مـن مغتصبـة كريـات أربـع، وعضـو بـارز في حركـة كاخ اليمينيـة المتطرفـة، يهـودي مهاجـر، أصلـه مـن نيويـورك، عـلى الهجـوم عـلى المصلـين في المسـجد الإبراهيمـي في الخليـل، وهـم سـاجدون في الركعـة الأولى مـن صـلاة الفجـر، فألقـوا عليهـم القنابـل، وأمطروهـم بوابـل مـن الرصـاص، وأغلـق جنـود الاحتـلال الذيـن يحرسـون المسـجد أبوابـه؛ لمنـع المصلـين مـن التمكـن مـن الهـرب، كمـا منعـوا الفلسـطينيين القادمـين مـن خـارج المسـجد مـن الوصـول إلى سـاحته لإنقـاذ الجرحـى، وقـام عـدد مـن الجنـود بإطـلاق النـار عـلى المصلـين خـلال محاولتهـم الهـرب، وتـم قتـل المصلـين الذيـن دافعـوا عـن أنفسـهم، وحاولـوا صـد المجـرم بـاروخ، برصـاص الجنـود[*].

ولهـذا بـين بعـض الصحفيـين والمتابعـين للحالـة الفلسـطينية أن هـذا اليـوم الدامـي ارتكبـت فيـه قـوات الاحتـلال الصهيـوني ثـلاث مجـازر في اليـوم ذاتـه؛ الأولى: مـا قـام بـه المسـتوطنون بقيـادة بـاروخ داخـل المسـجد، وقتـل العـشرات مـن المصلـين. والثانيـة: عندمـا تدفـق الجنـود ومعهـم عـدد مـن المسـتوطنين إلى الداخـل، عنـد توقـف إطـلاق النـار، ولـم

* المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، مرجع سابق، ص91 .

يخرج المجرم باروخ، قاموا بفتح النار من أسلحتهم على الذين تجمهروا حول باروخ، ولم ينج منهم أحد. والثالثة: فتح جنود الاحتلال النار على الناس الذين حضروا لنجدة إخوانهم وإسعافهم، ولحق الجنود المجرمون بالمصابين ومسعفيهم حتى أبواب المشافي، فقتلوا مزيداً منهم، بل حتى وفي أثناء تشييع الشهداء ودفنهم قام الجيش بقتل عدد من المواطنين، ففي هذا اليوم الأسود كانت ثلاث مجازر، وهذا ما تحدثت مجلة فلسطين المسلمة، في عدد شهر نيسان من سنة 1994م، كذلك جريدة الرأي الأردنية، في عدد شباط من العام 1994م. وكنت أنا ممن هبوا لمساعدة الجرحى الذين نقلوا إلى مشفى بيت جالا الحكومي، من أجل التبرع بالدم، وعشرات الشباب الآخرين، فشاهدت استشهاد الشاب محمد يوسف غياظة من نحالين (17) سنة أمام عيني، وهو واقف بالقرب من المشفى، فأصابته الرصاصة في رأسه، فاستشهد على الفور، ولم يكن يبعد عني سوى بضعة أمتار.

شهداء مجزرة المسجد الإبراهيمي:

بلغ عدد الشهداء أكثر من (34) شهيداً، منهم (30) داخل المسجد، و (4) خارجه. ومن هؤلاء الشهداء: رائد عبد المطلب النتشة (20) سنة، وعلاء بدر أبو سنينة (17) سنة، وخالد خلوي أبو سنينة (58) سنة، وكمال جمال قفيشة (13) سنة، وطارق عدنان أبو سنينة (14) سنة، ورامي عرفات الرجبي (11) سنة، وأيمن أيوب القواسمي (21) سنة، وعطية محمد السلايمة (33) سنة، وطلال محمد دنديس (26) سنة، ووائل صلاح المحتسب (28) سنة[*].

*مركز المعلومات الفلسطيني، شهداء مجزرة الحرم الإبراهيمي، 1994م .

دروس وعبر من هذه المجازر:

أهم الدروس والعبر التي نستخلصها من هذه المجازر الرهيبة:

1_ علينا أن نحرس مساجدنا بطرق وأساليب تتوافق وظروفنا ووضعنا، فنحن كفلسطينيين ومسلمين مستهدفون، وفي حالة حرب وعداء مع الصهيونية العالمية، وغيرها من أعداء الإسلام والإنسانية، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا} [النساء:71] وقال تعالى: {وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ...} [النساء: 102].

فالمجازر التي استهدفت المصلين وهم في صلاتهم خاصة في السجود كثيرة، في فلسطين، ومصر، وأفغانستان، والعراق، وآخرها مجزرة مسجد النور، الواقع وسط كريست تشيرش بنيوزلندا في 15 /3 /2019م، وذهب ضحيتها أكثر من (50) شهيدا، ومثلهم من الجرحى، ومن الشهداء خمسة فلسطينيين(*).

2_ يسعى أعداء الأمة إلى الانقضاض على الإسلام؛ بهدف إطفاء نور الحق، وطمس الحقيقة الساطعة من خلال تشويه ديننا، وتشكيكنا فيه، وضربنا، وإرهابنا، وإضعاف معنوياتنا، وتهجيرنا من بلادنا وموطننا، بإعمال الأيادي الخفية فينا التي تعبث بأمننا، ولكن ليعلموا أنَّ الله تكفَّل بهزيمة أعداء الدين في هذا المجال، قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (التوبة: 32).

3_ علينا أن لا نصدق أعداء الله، ولا نثق بهم، ولا نأمن جانبهم تحت أي ظرف كان، وعلينا أن نكون متحدين دائماً معتصمين بحبل الله، وإنهاء الانقسامات، وتطبيق ذلك بالفعل

---

* مجلة الإسراء، العدد (146)، مقال ما بين مجزرتي نيوزيلندا والخامس عشر من رمضان في المسجد الإبراهيمي قواسم مشتركة، الشيخ إبراهيم خليل عوض الله، ص14، ص19 .

لا بالقـول، وعـلى أرض الواقـع عملياً، فعدونـا يتربـص بنـا، ولا يلـتزم بمواثيـق، ولا بعهـود، قـال تعـالى: {كَيْـفَ وَإِن يَظْهَـرُوا عَلَيْكُـمْ لَا يَرْقُبُـوا فِيكُـمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّـةً يُرْضُونَكُـم بِأَفْوَاهِهِـمْ وَتَـأْبَىٰ قُلُوبُهُـمْ وَأَكْثَرُهُـمْ فَاسِـقُونَ} (التوبـة: 8)

4_ العالـم لا يعـير دماءنـا انتباهـاً أو اهتمامـاً، حـتى لـو سـالت أنهـاراً، فهـذا العالـم يكـون في سـبات عميـق عنـد ظلمنـا وقتلنـا وتدميرنـا، أمّـا لـو خُـدش صهيـوني محتـل بحجـر فلسـطيني، تقـوم الدنيـا لـه ولا تقعـد، فـصرح حاخـام يهـودي خـلال تأبـين الإرهـابي غولدشـتاين قبـل دفنـه، بقولـه: ((إنَّ مليـون عـربي لا يسـاوون ظفـر يهـودي واحـد)) ويصـف المسـتوطن اليهـودي الحاقـد يمئيـبن يـشي الإرهـابي غولدشـتاين: ((بأنـه قـام بعمـل بطـولي حقيقـي بقتـل العـرب، ويتمـنى أن يفعـل أكـثر اليهـود مثلـه)) [1].

5_ إصرار المفـاوض الفلسـطيني والقيـادة الفلسـطينية عـلى التمسـك بالثوابـت، واغتنـام الفـرص في خلـق واقـع جديـد، خاصـة عندمـا يسـاندنا الـرأي العـام العـربي والـدولي الـذي اسـتنكر المجـازر بشـدة، وأصبـح لديـه تحـول في تبريـر تفكيـك المسـتوطنات كخطـوة أولى رئيسـة، عـلى طريـق السـلام الحقيقـي.[2]

وكان موقـف القيـادة الفلسـطينية الثابـت حيـال القـدس، والأسرى، والشـهداء موقفـاً بطوليـاً رائعـاً، خاصـة أنهـم لـم يسـاوموا عليهـا، ولـم يتراجعـوا قيـد أنملـة في ذلـك، كذلـك مواجهـة صفقـة العـار، ومؤامـرة المنامـة الاقتصاديـة.

1- المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، مرجع سابق، ص98 .

2- المجزرة، المحامي حجازي إسماعيل الشيوخي، ص115 - ص116 .

الإعجاز العلمي حقيقة أم وهم؟

أ.فراس حج محمد
مشرف اللغة العربية - مديرية تربية جنوب نابلس

لم يكن مستغرباً على كل من يشتغل بالدراسات القرآنية والفكر الإسلامي عامة، أن يثبت للقرآن الكريم - كتاب الله الخالد- وجوهاً متعددة للإعجاز، غير الإعجاز البياني اللغوي، وخاصة المعاصرين منهم، فقد أثبتوا للقرآن إعجازاً علمياً، وإعجازاً تشريعياً، وإعجازاً تاريخياً، وغيبياً، وأخيراً خاض بعضهم غمار ما عرف بالإعجاز الرقمي، أو العددي، وكل تلك الوجوه عدا الإعجاز البياني، هي بين أخذ ورَدّ بين العلماء والمفكرين عموماً، فإن اتفقوا على الإعجاز البياني، إذ هو المقصود بقوله تعالى: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}(يونس: 38)، فإنهم في تعارض في إثبات الوجوه الأخرى للإعجاز، بين متحمس مدافع، وبين معارض رادّ.

ولتجلية موضوع ما سمي بالإعجاز العلمي، فمن المهم إعادة التذكير بقضية مهمة، وهي أن المعجزة، كما تقرر معناها المراجعُ المتخصصة لغويةً وقرآنية، هي أمر خارق للعادة، يتحدى الله بها عن طريق نبي مرسل القوم، الذين أرسل إليهم أن يأتوا بمثلها، ليكون عجزهم ذلك دليلاً قاطعاً على أن نبيهم موحى إليه، وأن ما يقوله في الشريعة والدين عموماً ليس من عنده، وقد كانت المعجزة مصاحبة لرسالة كل نبي، تأييداً له بصدق دعواه ورسالته.

وهـذا المفهـوم للمعجـزة يفـرض ويحتـم أن يكـون في ظاهـره مـن جنـس مـا اشـتهر به أولئـك القـوم، ليتفـق مـع مـا اشـتهروا بـه ظاهريـاً، وليختلـف عنـه في حقيقـة الأمـر، ولذلـك يحـدث الإعجـاز، وهـو أيضـاً خـارج نطـاق التفسـير العلمـي المبـني عـلى الأسـباب والمسـببات، ولذلـك يثبـت الأمـر بأنـه معجـز، ويقـف القـوم إلا المعانـدون مصدقـين، فيتبعـون ويؤمنـون، وأوضـح دليـل عـلى ذلـك مـا حـدث مـع سـيدنا مـوسى، عليـه السـلام، إذ لـم تكـن عصـاه سـحراً للتفـوق عـلى سـحرة فرعـون، ولـم تكـن تخضـع للتفسـير العلمـي في تحولهـا إلى حيـة تسـعى، بـل كانـت مجـرد عصـا، أودع اللـه فيهـا قـدرة مـا، لتبـين بطـلان السـحر، ولتزيـل الغشـاوة عـن العيـون والقلـوب والبصائـر، ولذلـك عندمـا عايـن السـحرة، وهـم أعلـم أهـل زمانهـم بالسـحر، فقـد صدّقـوا وآمنـوا وخـروا سـاجدين، وتركـوا مـا كانـوا عليـه مـن اعتقـاد خاطـئ تجـاه مـا عرفـوا بـه، فثبـت بذلـك أن تلـك العصـا معجـزة، وقـد أقـرَّ بذلـك أهـل الخبرة والمعرفـة، إذ ليـس بعـد قـول هـؤلاء مـن قـول، فـإذا قامـت عليهـم الحجـة والدليـل، فهـي مـن بـاب أولى سـتقوم عـلى غيرهـم، ممـن لا يدركـون مـن أمـر ذلـك الموضـوع شـيئاً.

وهـذا مـا حـدث فعـلاً في حقيقـة الإعجـاز البيـاني في القـرآن الكريـم، إذ سـلم العـرب بـأن القـرآن لا يُضـارع، وبـأن القـرآن معجـز في تراكيبـه وسـوره وبيانـه، كلاً واحـداً متصـلاً؛ معـانٍ وألفـاظ معـاً، وفي الخـبر المشـهور المنسـوب للوليـد بـن المغـيرة، وهـو الزعيـم العارف بلسـان العـرب، شـعره ونـثره: «واللـه إن عليـه لطـلاوة، وإن لـه لحـلاوة، وإن أعـلاه لمثمـر، وأن أسـفله لمغـدق، وإنـه يعلـو، ولا يُعـلى عليـه»[*]

في هـذا الخـبر دليـل وحجـة عـلى أن القـرآن معجـز، وأنـه ليـس مـن أفـكار محمـد العـربي الأميّ،صـلى اللـه عليـه وسـلم، وهـذا مـا أدركتـه العـرب عمومـاً، إذ لـم يتجـرأ أحـد

*-البحر المحيط في التفسير، 1 /18.

من فصحاء العرب المشهورين والمعروفين ببلاغتهم التي تجلت في شعرهم، وبعض نثرهم أن يعارض القرآن بشيء يشبهه، وإن حاول بعضهم ذلك،فقد ارتدَّ حسيراً فاشلاً.

فالتحدي إذن هو الغاية من المعجزة، وتحدي الله بذلك العرب قاطبة، وكل الناس قديماً وحديثاً، فإذا ثبت عجز العرب عن أن يأتوا بمثل أقل سورة من القرآن، فإن الآخرين من غيرهم هم أشد عجزاً.

كان هذا بياناً معروفاً ومشهوراً عند العلماء في قضية الإعجاز البياني، أحببت أن أبسط القول فيه قليلاً، لنتوصل إلى حقيقة الإعجاز القرآني، وهو التحدي بأن يأتوا بمثله، لغة ومعنى، وألفاظاً متآلفة معاً، لتدل على ما دلت عليه، وهذا ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم المعروفة.

وتأسيساً على ما سبق، فإن ما عرف بوجوه الإعجاز الأخرى؛ التشريعية، والتاريخية، ليس له مكان أصلاً، ولا يلتفت إليه ألبتة، إذ لم يكن فيها تحدٍ إطلاقاً، وقد التقت الأحاديث الشريفة، وبعض أخبار العرب وتشريعاتهم، والكتب السماوية السابقة، مع بعض ما جاء في القرآن، ولم يقل أحد من المتأخرين والمتقدمين أن التوراة أو الإنجيل أو أخبار العرب وتشريعاتها مما اتفق مع ما جاء به القرآن، أنها معجزة في تشريعاتها وأخبارها التاريخية، فهي بحد ذاتها كموضوع لم تكن معجزة، ولم يُطلب بها التحدي إطلاقاً.

وفي الوقت ذاته؛ فإن ما عُرف بالإعجاز العددي مردود من حيث هو موضوع للإعجاز، وذلك لأن طريقة التفسير، بناء على حساب الجُمّل، لم يمارسها الصحابة والتابعون، على الرغم من أن تلكم الطريقة في الحساب كانت موجودة عند العرب، ولم تطبق على تفسير آيات القرآن، فلذلك فإنها تعد بدعة في التفسير، أضف إلى أن كون

القرآن متناسقاً في تعبيراته في عدد الحروف والألفاظ لتدل على معانٍ محددة، فإنها تتبع بالضرورة من النسق البياني، وليس من صلب الإعجاز الرقمي، إضافة إلى أن اختلاف القراءات للآية الواحدة يجعل هذا النوع من الإعجاز نوعاً مهملاً، واهي القوام، ليس له أركان ليقوم عليها، إذ كيف يعد إعجازاً، ولم يتحدُّ الله به القوم، الذين أرسل إليهم؟

أما الإعجاز العلمي الذي هو موضوعنا الأساس في هذه الوقفة، فإنه مدفوع ومرجوح كذلك، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى، واتساقاً مع ما تقدم، لم تكن موضوعات القرآن العلمية محل تحد للعرب، ولم يطلب منهم الإتيان بنظريات علمية، أو اكتشاف حقائق علمية متضمنة في الكتاب الكريم، إذ لو تحدى الله الناس علمياً بالقرآن، لأثبت العلم الحديث بمكتشفاته أن القرآن غير معجز، وذلك لما بينتُ سابقاً من معنى المعجزة، فالناس جميعاً، وخاصة غير العرب قد أتوا بحقائق علمية، لم تتعارض مع نصوص القرآن، وقد عبر القرآن عن حقائق كونية لا شك فيها، وذلك لأن القرآن من عند الله سبحانه قطعاً، إذ لو تعارض العلم والقرآن، لكان هناك خللٌ كبير في القرآن، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يمكن أن يكون هناك تعارض بين حقائق العلم والقرآن، وذلك لأنهما من مصدر واحد، لا يتطرق إليه الشك والخلل والخطأ، وعليه، فإن ما جاء في القرآن من إشارات قال عنها العلماء إنها من مواطن الإعجاز العلمي، هي في حقيقتها تجليات قدرة الله في الكون، هذا الكون المبني على أسس منطقية، ربطت الأسباب بمسبباتها، تبياناً لمنهج التفكير العقلي عند الناس، وألا يظلوا مأخوذين بالتفكير في المغيبات التي لا يقع عليها الحس، وهي ليست محل تفكير، أو إعمال نظر، كذلك فإن البحث فيما وراء الطبيعة ليس في مقدور بشر، وهو ضرب من

الخيال، وإن كان يُحْدِث عند المشتغلين به متعة عقلية مجردة، ولكنه ليس له في أرض الواقع أي أثر، وهذا يؤكد المنهجية العقلية للتفكير التي سعى القرآن الكريم إلى تثبيتها عند الناس، وهي التفكير بالواقع والوقائع والأشياء لينتفع الناس بها في معاشهم، وتطور أساليب حياتهم وآلاتها، وهذا ما حدث فعلاً، وأبانت عنه الاكتشافات العلمية شرقاً وغرباً، فليس بمستغرب إذن أنك تجد في آيات القرآن الكريم ما يدعو للتفكّر والنظر والتأمل، يخاطب بها الله، جل وعلا، أولي الألباب والقوم العالمين والمفكرين والعاقلين، وتجنب القرآن البحث أو توجيه البحث في المغيبات، كالجن، والملائكة، والجنة، والنار، وحتى ذات الله، واقتصرت الدعوة على أن نتفكر في خلقه المشاهد المحسوس فقط.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن دعوى الإعجاز العلمي لم تكن دافعاً ذاتياً من المسلمين أنفسهم، بل كانت ردة فعل نتيجة الشعور بالنقص، والهزيمة الحضارية، التي تعاني منها الأمة، فإذا ما سمع أحدهم بنظرية علمية جديدة، أو اكتشاف علمي غربي سارع إلى القول، بأن القرآن تحدث عن ذلك قبل ألف وأربعمائة عام، وكأنه يبحث لهزيمته النفسية، وأزمته الحضارية عن شيء يثبّته على دينه، ويجعله مقتنعاً بصدق القرآن، على الرغم من أن القرآن لا يحتاج إلى التصديق بكل ما جاء به من محكم ومتشابه إلى نظريات علمية، بل إثبات كون القرآن من عند الله يأتي خارج نطاق التفكير العلمي المبني على التجربة، والملاحظة، والتوصل إلى حقائق علمية.

وبين د. فضل حسن عباس في كتاب له عن الإعجاز العلمي محظور تفسير آيات القرآن استناداً إلى النظريات العلمية، فمعروف أن النظريات العلمية خاضعة للرد والإثبات والتغيير والتبديل في الأسس التي تقوم عليها، وهذا يجعل القرآن متناقضاً، وبدلاً من أن يؤدي التفسير العلمي للقرآن إلى زيادة الإيمان، قد يؤدي إلى زعزعة اليقين، لأن طريقة تلقيه بهذا الشكل خاطئة وفادحة في الخطأ، فكيف للعلماء أن يقولوا: إن القرآن تحدث

عن أصغر وحدة في المادة، وهي الذرة، وذلك عندما تم تفسير قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (الزلزلة: 8)، لمواكبة نظرية علمية ثبت أنها غير دقيقة؟

ويتصل بهذه القضية قضية أخرى مهمة وضرورية في الطرح والمناقشة، وهي أن القرآن هو كتاب قرأه ويقرؤه ملايين الملايين قديماً وحديثاً، منذ عهد الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام، إلى الآن، فلماذا لم يحدث العكس، بحيث يتم اكتشاف النظريات العلمية والحقائق الكونية، ابتداء من القرآن الكريم، وأن لا يتم انتظار الاكتشاف الغربي لنقول: إن القرآن الكريم سبق العلم الحديث في مجال الفيزياء والطب والأحياء، وغيرها، عدا عن أن اختلاف التفسيرات للآية الواحدة من آيات الإعجاز العلمي بين التفسير القديم والحديث، يجعل الآية من المتشابه، وإذا كانت من المتشابه، فإنها غير قاطعة في دلالتها، وهذا ينفي عنها كونها من الإعجاز الذي هو قاطع في دلالته، ولا تحتمل نصوصه إلا تفسيراً واحداً لا غير.

وهكذا يتبين أن دعوات المفكرين للكشف عن آيات الإعجاز العلمي ما هي إلا ضرب من الشطط في التفسير، وتحميل النص القرآني ما لا يحتمل، وهذا كله لا يغني عن فاعله من الحقائق شيئاً، وعليه يجب ألا يتلقى القرآن بهذه الطريقة الفجّة، وعدم إخراج القرآن من دائرة أنه كتاب تشريع وفكر، صيغ بطريقة معجزة، كل ما فيه حق وواجب التصديق، وقد جاءت الإشارات العلمية في القرآن الكريم لتدل على عظيم قدرته سبحانه، وأنه يعلم السر وأخفى، وليس لإثبات الإعجاز العلمي الذي هو محض افتراء ووهم، وقع فيه من وقع، وهو بعيد عن هدف القرآن وغايته، فالقرآن الكريم ليس كتاباً علمياً، ولا كتاب فلسفة أو لغة، بل هو كتاب دين، شريعة وعقيدة.

أشياء ينبغي سترها

أ. كمال بواطنة
مدير دائرة الكتب والمطبوعات التربوية
وزارة التربية والتعليم

ديننا دين الستر، وربّنا حييّ ستّير، يقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ)[1]، وهو يحثّ على ستر العيوب والعورات والذنوب...، وممّا يوصف به غير المسلمين أنّهم يكشفون الأشياء، ويعرّونها، ونحن نسترها ونكسوها، ومن هنا نجدهم حتى في تصاويرهم وتماثيلهم ولباسهم... لا يراعون الستر.

هناك أشياء حثّ ديننا على سترها، ونريد أن نتوقّف مع بعضها قليلاً، وفي ذلك الخير لنا في دنيانا وأُخرانا، منها ستر الذنوب، وفي هذا يقول سيّد الخلق، صلّى الله عليه وسلّم: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلا المُجَاهِرِينَ)[2]، والمجاهر بالمعصية إنسان قليل الحياء، يرتكب المعصية، ويستره الله، ولكنّه يأبى إلا أن يكشف ستر الله عنه، وهو بذلك فيه وصفان: أولهما عدم استحيائه من الله السميع البصير، ومن الناس، والثاني أنّه يعدّ قدوة سيئة لغيره، فيشجّع غيره على اقتراف الآثام.

1- سنن أبي داود، كتاب الحمام، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّعَرِّي، وصححه الألباني.

2- صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ سَتْرِ المُؤْمِنِ عَلَى نَفْسِهِ.

وأمر ثان يجب ستره ما يكون بين الأزواج، وهذا أمر في غاية الخطورة، والحياة الزوجيّة تقوم على مراعاة الستر بين الأزواج، فكلّ منهم لباس وستر للآخر، قال تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}(البقرة: 187)، وبخاصّة عندما يفضي بعضهم إلى بعض، ومن يفضح سرّ زوجه بعد الإفضاء، فهو من شرّ الناس، قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)(*)، وكثير من الأزواج والزوجات يتهاونون في هذا الأمر، ويريدون أن يتفكّهوا في المجالس، فتجد الواحد منهم، أو منهنّ، ينشر أو تنشر أسرار الزوجيّة للناس، فيصبحون على معرفة بما حدث بينهما، وفي هذا كشف لأسرار ينبغي سترها، وفيه تشجيع للذين في قلوبهم مرض؛ ليتجرّؤوا على الحرمات والبيوت.

وأمر ثالث ينبغي ستره، أسرار الجيران، والجار من أقرب الناس إلى جاره، يعرف مدخله ومخرجه، ومن الممكن أن يطّلع على كثير من أسراره، وهنا يحسن بالجار أن يكتم سرّ جاره، لا أن يتحسّس أو يتجسس؛ ليعرف بعض الأسرار؛ بقصد إفشائها، وإنّه لجار خير ذاك الذي إن رأى حسنة من جاره أفشاها، وإن رأى سيئة غطّاها، وقد أعجبني جار كان إذا سمع أصوات شجار في بيت جاره، وكان خارج البيت قال لأولاده: هيّا ندخل؛ ذلك أنّه لا يريد سماع شيء من أسرار جيرانه، يفشونه في حالة غضب.

ومن الأشياء التي رغّب الدين في سترها عبادة التطوّع، للبعد عن شبهة الرياء، ومنها الصدقة، وستر الصدقة دليل يقين بالله، فهو المطّلع على أعمال العباد، والمجازي

* صحيح مسلم، كتاب النكاح، بَاب تَحْرِيمِ إِفْشَاءِ سِرِّ المَرْأَةِ.

عليها، وليس البشر، وفي القرآن الكريم، وفي السنة المطهّرة ما يرغّب في صدقة السر، قال تعالى: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(البقرة: 271)، وفي ترغيب آخر قال سبحانه: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: 274)، فقد قدّم الليل على النهار، والسرّ على العلانية، ومن السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه (...وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ) (*)، ولا يخفى أنّ في ستر الصدقة دليل إخلاص لله، ومراعاة لمشاعر الفقير؛ إذ ليس من الأدب في شيء أن تقدّم لفقير صدقة أمام الناس، فتؤذيه، وتحرجه، وتجرح مشاعره.

وممّا يجب ستره ما يحصل مع النساء أحياناً من مواقف، فقد يسمعن كلمة غير مباشرة من قليل حياء في الأسواق، وفي أماكن العمل، وفي وسائل المواصلات، وفي الشوارع...، وقد شكت إحداهنّ من حركة مريبة من كارٍ(مؤجّر الركوبة)، فأخبرت أمّنا عائشة، رضي الله عنها، فقالت لها: حجراً حجراً، ذلك أنّ عواقب كشف هذه الأشياء قد يضرّ بسمعة الأنثى.

وممّا ينبغي ستره ما يكون من الإنسان عند قضاء الحاجة، ولقد سّماه القرآن (الغائط)، والغائط هو الأرض المنخفضة، التي تصعب رؤية من يكون فيها، والإنسان عند قضاء الحاجة يكون في حالة لا يحبّ أن يراه فيها أحد، ويحبّ كذلك أن يكون

* صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَاب الصَّدَقَةِ بِاليَمِينِ.

مطمئناً، وهو يزيل الأذى عن نفسه، والفطرة السليمة، تجعله يستر نفسه، وأرى أنّ من يقضي حاجته على مرأى من الناس ليس إنساناً سويّاً.

وممّا رغّب في ستره ما يكون من عيوب الناس وذنوبهم، ومن شأن المسلم أن يستر أخاه المسلم، قال صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)[1]،

والمسلم لا يعين الشيطان على أخيه بفضح ذنوبه، فيتعوّد المذنب على الذنوب، وعدم الاستحياء من مقارفتها، وبذلك تزيد ذنوبه، ومن الملاحظ أنّ الإنترنت أصبح مكاناً ملائماً لضعاف الإيمان، الذين يريدون أن تشيع الفواحش والذنوب، فليحذر المسلم من ذلك، وقد تكون آثار الأقلام أعظم من آثار الألسن؛ لأنّها ثابتة، وقد لا تمحى لزمن طويل.

من المحزن أن أصبحت كثير من مجتمعات المسلمين تتعمّد البحث عن الذنوب والخزايا ونشرها، بل تضخمها، فتجعل من الخطأ خطيئة، ومن الحبّة قبّة؛ لتفضح المستور، ومن يفعل ذلك لا يعرف شيئاً من روح ديننا، ألم يكفِ هؤلاء قول نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، مخاطباً ومحذّراً: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا المُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتبع عَوْرَاتِهِمْ، يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ).[2]

1- صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.

2- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة، وقال الألباني، حسن صحيح.

اقرأ وتذكر

إعداد: إيمان خليل تايه
رئيس قسم النشر والتوزيع / دار الإفتاء الفلسطينية

السعادة الحقيقة

- السعيد حقاً "من كان مع الله"، والأسعد منه "من كان الله معه" أسأل الله " أن يكون معكم في كل خطوة، ويحفظكم من كل سوء.
- السعادة لا تحتاج إلى معجزات عظيمة... كل ما تحتاجه:
  - قلب متسامح
  - ووجه مبتسم
  - وقناعة بالنصيب
  - وثقة بالله

حتى تكن أسعد الناس ..

- اجعل الفرح شكراً... والحزن صبراً... والصمت تفكراً... والنطق ذكراً ... والحياة طاعة..
- وكن مثل الطائر... يأتيه رزقه كل صباح ومساء، ولا يهتم بغد ... ولا يؤذي أحداً
- وليكن قلبك كاللؤلؤ ... لا يحمل أحقاداً

- وكـن في الدنيـا كأنـك غريـب، أو عابـر سـبيل ... صـل صـلاة مـودع ... وارقـد كأنـك شـهيد ... ولا تتكلـم بـكلام تعتـذر منـه.
- لا تنـس أن حسـبنا اللـه ونعـم الوكيـل تُطفـئ الحريـق، ويَنجـو بهـا الغريـق، ويُعـرف بهـا الطريـق.

قيل للسعادة

متى تسكنين القلب؟

قالـت: إذا توافـرت فيـه ثـلاث: عـدم الحـزن عـلى مـا فـات، وعـدم القلـق عـلى مـا هـو آت، والرضـا بمـا قسـم رب السـماوات، ففـي الشـدّة يُقـاس الصّـبر، وفي النقـاش يقـاس العقـل، وفي المواقـف يُقـاس البـشر.

هنيئـاً لمـن يحـرص عـلى ألا يظلـم أحـداً، ولا يغتـاب أحـداً، ولا يجـرح أحـداً، ولا يـرى نفسـه فـوق أحـد، فكلنـا راحلـون.

من اللطائف القرآنية

- سورة النحل افتُتحت بالنهي عن الاستعجال:{أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} (النحل:1)

واختُتمت بالأمر بالصبر: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} (النحل:127)

ومـا بـين الـتروي والصـبر، يكمـن خـير لا يعلمـه إلا اللـه تعـالى، فالثقـة باللـه لا حـدود لهـا، والصـبر عاقبتـه أجـر بغـير حسـاب.

ثواب الحمد

لو رزق العبد الدنيا بما فيها، ثم قال: الحمد لله، لكان إلهام الله له بالحمد أعظم نعمة من إعطائه الدنيا! لأن نعيم الدنيا يفنى، وثواب الحمد يبقى..

كلام من ذهب

كان الصالحون يتواصون بثلاث كلمات، لو وزنت بالذهب لرجحت به:

- الأولى: من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس
- الثانية: من أصلح سريرته، أصلح الله علانيته
- الثالثة : من اهتم بأمر آخرته، كفاه الله أمر دنياه وآخرته.

دعائم التوكل

قال رجل لحاتم الأصم: علامَ بنيت أمرك في التوكل على الله عز وجل؟

قال: على أربع خصال:

- علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي
- وعلمت أن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغول به
- وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره
- وعلمت أني لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت، فأنا أستحيي منه

قال تعالى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}(آل عمران: 159)

ويقول الإمام الشافعي:

تَوكلْـتُ في رِزْقِي عَـلَى اللَّـهِ خَالقـي ... وأيقنـتُ أنَّ اللـهَ لا شـكٌ رازقِ

ومـا يـكُ مـن رزقِي فليـسَ يفوتـني ... وَلَـو كَانَ في قَـاعِ البحَـارِ العَوامِـقِ

سـيأتِي بـهِ اللـهُ العظيـمُ بفضلـهِ ... ولـو لـم يكـن مـني اللسـانُ بناطـقِ

ففـي أي شيءٍ تذهـبُ النفـسُ حـسرةً ... وَقَـدْ قَسَـمَ الرَّحْمَـنُ رِزْقَ الْخَلاَئِـقِ

ما نزل بلاء إلا بذنب

- لا تخوفوا الناس من الفقر ..
- خوفوهم من الذنوب التي تجلب الفقر
- فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفع إلا بتوبة...
- قال تعالى: {وَأَلَوِ استَقاموا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسقَيناهُم ماءً غَدَقًا}(الجن: 16)

الدعوة الصادقة

- سُئل أحد الصالحين: كم بيننا وبين عرش الرحمن؟ فقال: دعوة صادقة لأخيك.
- وقد قيل: الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه، وهو سلاح المؤمن.

أدعية مميزة

سيد الاستغفار: عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: (سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ، مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ) [1]

كفارة المجالس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ، اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، كَثُرَ لَغَطُهُمْ فِيهِ، فَقَالَ قَائِلٌ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا، وَبِحَمْدِكَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ ثُمَّ أَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ)[2]

دعاء السفر: إِنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قال: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي المَالِ وَالأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ).[3]

1- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ أَفْضَلِ الاسْتِغْفَارِ.

2-المستدرك على الصحيحين للحاكم ،1\720 وقال: هذا الإسناد صحيح على شرط مسلم

3- صحيح مسلم ، كتاب الحج، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا رَكِبَ إِلَى سَفَرِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ

مضرب الأمثال

إعداد:هالة عقل

رئيس قسم المطبوعات / دار الإفتاء الفلسطينية

ذكر الله جل في علاه الأمثال في القرآن الكريم في آيات عدة، نصت بعضها على ذكر ضرب الأمثال للناس، فقال الله تعالى: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ}(العنكبوت:43)، ويقول تعالى: {ويَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ للنَّاسِ واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيْمْ } (النور: 35)، وهذا يعني أن للمثل وظيفة يؤديها لدى سامعيه والمتدبرين في معانيه.

معنى المثل في اللغة:

جاء في معاجم اللغة العربية، أن كلمة مثل كلمةُ تَسْوِيَةٍ. يقال: هذا مِثْله ومَثَله، كما يقال شِبْهه وشَبَهُه بمعنى؛ قال ابن بري: الفرق بين المُماثَلة والمُساواة، أَن المُساواة تكون بين المختلِفين في الجِنْس، والمتَّفقين؛ لأَن التَّساوِي هو التكافُؤُ في المِقْدار، لا يزيد ولا ينقُص، وأَما المُماثَلة فلا تكون إلا بين المتفقين، ... فإِذا قيل: هو مِثْله على الإِطلاق، فمعناه أَنه يسدُّ مسدَّه[1]، وقوله تعالى: {فإِن آمنوا بمثل ما آمنتم به}؛ قال أَبو إِسحق: إِن قال قائل وهل للإِيمان مِثْل هو غير الإِيمان؟ قيل له: المعنى واضح بيِّن، وتأْويلُه إِن أَتَوْا بتصديقٍ مِثْلِ تصديقكم في إِيمانكم بالأَنبياء وتصديقكم كتوحيدكم ... فقد اهتدوا؛ أَي قد صاروا مسلمين مثلكم[2]... وقوله عز وجل: {ولله المَثَلُ الأَعْلى}؛ جاء في التفسير: أَيْ: الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ.[3]

1- لسان العرب: 14/ 17.

2- معاني القرآن وإعرابه: 10 /160.

3- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 1/ 215.

مِثْل القرآن

استخدم القرآن الكريم لفظ المثل بمعناه اللغوي لغير ضرب الأمثال في مواضع عدة منه، نورد في هذا المقام نماذج لذلك، مما ورد في تحدي الخلق أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، حيث طلب منهم في بدء الأمر أن يأتوا بمثل القرآن، فلما عجزوا عن ذلك طلب منهم الله أن يأتوا بمثل عشر سور منه، فلما عجزوا كان التحدي البالغ لهم بأن يأتوا بمثل سورة منه، وفي هذا التسلسل نزلت آيات قرآنية كريمة، فقال تعالى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (الإسراء:88) فالخلق عاجزون عن الإتيان بمثل هذا القرآن على نظمه وإيجازه ونسقه مع كثير مما ضمن فيه من الأحكام والحدود وفنونها ويقال مثل هذا القرآن من تعريه عن التناقض مع كثرة الأقاصيص والأخبار.[1]

وقال عز وجل:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (هود13) وقوله تعالى: {فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ} المماثلة المطلوبة في فصاحته وعلومه، وقوله: {مُفْتَرَيَاتٍ} صفة لعشر سور، وذلك مقابلة لقولهم: {افْتَرَاهُ} وليست المماثلة في الافتراء. وقوله: {وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم} أي استعينوا بمن شئتم [2]، وقال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة23) المعنى: وإن ارتبتم في أنّ القرآن منزل من عند اللّه. فهاتوا أنتم نبذاً مما يماثله ويجانسه.[3] أي فَأتوا بِسُورَة من مثله في البلاغة وَالنّظم وَصِحَّة الْمَعْنى. وَقيل: إِن مَعْنَاهُ: فَأتوا بِسُورَة مثل سُورَة الْقُرْآن.

1- تفسير السمرقندي: 2/ 328.
2- التسهيل لعلوم التنزيل: 2 /102.
3- الكشاف: 1/ 99

جاء هذا التحدي رداً على المشككين بحقيقة أن القرآن الكريم منزل من عند الله على رسوله، صلى الله عليه وسلم، وَقَوله: {وَادعوا من اسْتَطَعْتُم من دون الله} مَعْنَاهُ: وَاسْتَعِينُوا بِمن اسْتَطَعْتُم من دون الله {إِن كُنْتُم صَادِقين}[1] يقول ابن كثير: إن قوله تعالى: { فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ} وقوله في سورة يونس: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (يونس:38) يعم كل سورة في القرآن، طويلة كانت أو قصيرة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط، فتعم، كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين، كما هو مقرر في موضعه، فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها، وهذا لا أعلم فيه نزاعاً بين الناس سلفاً وخلفاً[2]، وورد الحديث عن المماثلة بشأن القرآن الكريم، عند التطرق لموضوع نسخ الآيات، فقال عز وجل: ويقول عز وجل:{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة:106) يذكر صاحب أضواء البيان تساؤلاً يتعلق بقوله تعالى: {أَوْ مِثْلِهَا} حيث قد يقال: ما الحكمة في نسخ المثل ليبدل منه مثله؟ وأي مزية للمثل على المثل حتى ينسخ ويبدل منه؟ ويجيب عن ذلك، فيقول: إن قوله: {أَوْ مِثْلِهَا} يراد به مماثلة الناسخ والمنسوخ في حد ذاتيهما، فلا ينافي أن يكون الناسخ يستلزم فوائد خارجة عن ذاته، يكون بها خيراً من المنسوخ، فيكون باعتبار ذاته مماثلاً للمنسوخ، وباعتبار ما يستلزمه من الفوائد التي لا توجد في المنسوخ، خيراً من المنسوخ، وإيضاحه أن عامة المفسرين يمثلون لقوله: {أَوْ مِثْلِهَا} بنسخ استقبال بيت المقدس، باستقبال بيت الله الحرام، فإن هذا الناسخ والمنسوخ بالنظر إلى ذاتيهما متماثلان؛ لأن كل واحد منهما جهة من الجهات، وهي في حقيقة أنفسها متساوية، فلا ينافي أن يكون الناسخ مشتملاً على حكم خارجة عن ذاته، تصيره خيراً من المنسوخ بذلك الاعتبار، فإن استقبال بيت الله الحرام تلزمه نتائج متعددة مشار إليها في القرآن، ليست موجودة في استقبال بيت المقدس، منها

1- تفسير السمعاني: 2/ 384.
2- تفسير ابن كثير: 1/ 63.

أنه يسقط به احتجاج كفار مكة على النَّبي، صلى الله عليه وسلم، بقولهم: تزعم أنك على ملة إبراهيم، ولا تستقبل قبلتها، وتسقط به حجة اليهود بقولهم تعيب ديننا وتستقبل قبلتنا، وقبلتنا من ديننا، وتسقط به أيضاً حجة علماء اليهود فإنهم عندهم في التوراة أنه، صلى الله عليه وسلم سوف يؤمر باستقبال بيت المقدس، ثم يؤمر بالتحول عنه إلى استقبال بيت الله الحرام، فلو لم يؤمر بذلك لاحتجوا عليه بما عندهم في التوراة، من أنه سيحول إلى بيت الله الحرام، والفرض أنه لم يحول، وقد أشار تعالى إلى هذه الحكم التي هي إدحاض هذه الحجج الباطلة بقوله: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}(البقرة:150) ثم بين الحكمة بقوله: {لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} وإسقاط هذه الحجج من الدواعي التي دعته صلى الله عليه وسلم إلى حب التحويل إلى بيت الله الحرام المشار إليه في قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} (البقرة:144). (*)

استخدام الأمثال:

اعتنى العرب بالأمثال منذ القدم، فكان لكل ضرب من ضروب حياتهم مثل يستشهد به، وبلغت عناية اللغويين العرب به حداً مميزاً عن سواهم، إذ كان المثل بالنسبة إليهم يجسد اللغة الصافية إلى حد كبير، وتتبعوها جيلاً بعد جيل، وبما أننا نتعلم في الحياة من الحياة نفسها، في صغرنا وكبرنا، وفي شبابنا، وشيخوختنا، ومن ميزة الإنسان أنه يضم التجربة إلى التجربة، فيكوِّن بذلك من تجاربه الحياتية الفكرة التي تصبح جزءاً من العقل، كالرأي، وجزءاً من الحس الحياتي، كقطرات الدم في العروق. وما الحِكَم والأمثال إلاّ مرآةً صادقة تمخضت عن تجارب الأفراد والمجتمعات على مر العصور والأزمنة.

* أضواء البيان: 2/ 449 - 450.

ولـم تكـن الأمثـال محـض أقـوال قيلـت عـلى عواهنهـا، بـل لـكل مثـل حكايـة تـروى، سـنأتي عـلى حكايـات بعضهـا لاحقـاً، ونقـدم لذلـك بتنـاول بعـض الأمثـال الـتي ضربهـا اللـه للنـاس في كتابـه الكريـم، فقـال تعـالى:{ كَذَلِـكَ يَـضرِبُ اللـهُ لِلنَّـاسِ أَمْثَالَهُمْ}(محمـد: 3)، لتكـون نبراسـاً يهتـدى بـه، وقـد ورد ذكـر كلمـتي مثـل والأمثـال، صريحـة في القـرآن الكريـم، مـا يزيـد عـلى سـتين مـرة[1]، وتناولـت موضوعـات كثـيرة، منهـا الإيمـان، و كشـف الكفـر، ورد شُـبَهَه، وفضـح النفـاق، وتصويـر الخبيـث والطيـب، وغيرهـا كثـير، ومـن شـواهد ذكـر الأمثـال في القـرآن الكريـم، مـا يـأتي:

مثل الإنفاق في سبيل الله:

قـال تعـالى: { مَثَـلُ الَّذِيـنَ يُنْفِقُـونَ أَمْوَالَهُـمْ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ كَمَثَـلِ حَبَّـةٍ أَنْبَتَـتْ سَـبْعَ سَـنَابِلَ فِي كُلِّ سُـنْبُلَةٍ مِائَـةُ حَبَّـةٍ وَاللَّـهُ يُضَاعِـفُ لِمَـنْ يَشَـاءُ وَاللَّـهُ وَاسِـعٌ عَلِيـمٌ} (البقـرة: 261)، هَـذَا مَثَـلٌ ضَرَبَـهُ اللَّـهُ تَعَـالَى لِتَضْعِيـفِ الثَّـوَابِ لِمَـنْ أَنْفَـقَ فِي سَـبِيلِهِ وَابْتِغَـاءِ مَرْضَاتِـهِ، وَأَنَّ الْحَسَـنَةَ تُضَاعَـفُ بِعَـشْرِ أَمْثَالِهَـا إِلَى سَـبْعِمِائَةِ ضِعْـفٍ، وفي تفسـير قولـه تعـالى: {مَثَـلُ الَّذِيـنَ يُنْفِقُـونَ أَمْوَالَهُـمْ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ} قَـالَ سَـعِيدُ بْـنُ جُبَـيْرٍ: فِي طَاعَـةِ اللَّـهِ. وَقَـالَ مَكْحُـولٌ: يَعْـنِي بِـهِ: الْإِنْفَـاقُ فِي الْجِهَـادِ، مِـنْ رِبَـاطِ الْخَيْـلِ وَإِعْـدَادِ السِّـلَاحِ وَغَـيْرِ ذَلِـكَ، وَقَـالَ شَـبِيبُ بْـنُ بِـشْرٍ، عَـنْ عِكْرِمَـةَ، عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ: الْجِهَـادُ وَالْحَـجُّ، يُضْعِّـفُ الدِّرْهَـمَ فِيهِمَـا إِلَى سَـبْعِمِائَةِ ضِعْـفٍ؛ وَلِهَـذَا قَـالَ اللَّـهُ تَعَـالَى: {كَمَثَـلِ حَبَّـةٍ أَنْبَتَـتْ سَـبْعَ سَـنَابِلَ فِي كُلِّ سُـنْبُلَةٍ مِائَـةُ حَبَّـةٍ}

وَهَـذَا الْمَثَـلُ أَبْلَـغُ فِي النُّفُـوسِ، مِـنْ ذِكْـرِ عَـدَدِ السَّـبْعِمِائَةِ، فَـإِنَّ هَـذَا فِيـهِ إِشَـارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَعْمَـالَ الصَالِحِـةَ يُنَمِّيهَـا اللَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ، لِأَصْحَابِهَـا، كَمَـا يُنَمِّـي الـزَّرْعَ لِمَـنْ بَـذَرَهُ فِي الْأَرْضِ الطَّيِّبَـةِ، وَقَـدْ وَرَدَتِ السُّـنَّةُ بِتَضْعِيـفِ الْحَسَـنَةِ إِلَى سَـبْعِمِائَةِ ضِعْـفٍ[2]، فقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: (إِذَا أَسْـلَمَ العَبْـدُ فَحَسُـنَ إِسْـلاَمُهُ، يُكَفِّـرُ اللَّـهُ عَنْـهُ كُلَّ سَـيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَـا، وَكَانَ بَعْـدَ

1- تفسير ابن كثير: 4/ 578.

2- تفسير ابن كثير1 /691

ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا)[1] قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} هَذَا الَّذِي يُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَخْرُجُ)[2]

وهذا مثال صريح في الحث على الإنفاق في سبيل الله، وبيان فضله، وأن يَعلم أن الله سيعطيه مِن فضلِه أكثرَ مما أنفق؛ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلان، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخِرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)[3]، فالصدقة سبب لمحبة الله، ومحبة الناس، وسعادة القلب، وزكاة النفس، والنفقة تقِي من عذاب النار، وتمنع ميتةَ السوء، وترجِّح ميزانَ الحسنات، وتكفِّر الذنوب، وترفع قيمةَ العبد عند ربه.

مثل الإنفاق الخاسر:

على النقيض من الإنفاق في سبيل الله، يتوعد الله الذين لن يغني عنهم ما ينفقون من أموالهم ابتغاء الدنيا وعرضها الزائل بالوبال والخسران، فضرب لنا مثلاً بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (آل عمران:116 - 117)، يقول الطبري في تفسيره: فالله جَلَّ ثناؤُهُ شبه مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْكَافِرُ مِنْ مَالِهِ، فَيُعْطِيهِ مَنْ يُعْطِيهِ عَلَى وَجْهِ الْقُرْبَةِ إِلَى رَبِّهِ، وَهُوَ لِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ جَاحِدٌ، وَلِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُكَذِّبٌ، فِي أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِهِ مَعَ كُفْرِهِ، وَأَنَّهُ مُضْمَحِلٌّ عِنْدَ

1-صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من إسلام المرء.

2- تفسير الطبري: 4/ 650 - 652.

3- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: {فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى} [الليل: 5 - 10]

حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ذَاهِبٌ بَعْدَ الَّذِي كَانَ يَرْجُو مِنْ عَائِدَةِ نَفْعِهِ عَلَيْهِ، كَشِبْهِ رِيحٍ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ {أَصَابَتْ} هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الْبَرْدُ الشَّدِيدُ {حَرْثَ قَوْمٍ} يَعْنِي زَرْعَ قَوْمٍ، قَدْ أَمَّلُوا إِدْرَاكَهُ، وَرَجَوْا رِبعَهُ وَعَائِدَةَ نَفْعِهِ ... {فَأَهْلَكَتْهُ} يَعْنِي فَأَهْلَكَتِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الصِّرُّ زَرْعَهُمْ ذَلِكَ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمَلِ، وَرَجَاءَ عَائِدَةِ نَفْعِهِ عَلَيْهِمْ ... فَكَذَلِكَ فِعْلُ اللَّهِ بِنَفَقَةِ الْكَافِرِ وَصَدَقَتِهِ فِي حَيَاتِهِ، حِينَ يَلْقَاهُ يُبْطِلُ ثَوَابَهَا، وَيُخَيِّبُ رَجَاءَهُ مِنْهَا، وَخَرَجَ الْمَثَلُ لِلنَّفَقَةِ(*).

مثل المنسلخ من آيات الله:

قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ} (الأعراف: 176 - 178)

أي واتل يا محمد على اليهود خبر وقصة ذلك العالم الذي علمناه علم بعض كتب الله، فانسلخ من الآيات، كما تنسلخ الحية من جلدها، بأن كفر بها، وأعرض عنها، {فَأَتْبَعَهُ الشيطان فَكَانَ مِنَ الغاوين} أي فلحقه الشيطان، واستحوذ عليه، حتى جعله في زمرة الضالين الراسخين في الغَواية، بعد أن كان من المهتدين، قال ابن عباس: هو «بلعم بن باعوراء» كان عنده اسم الله الأعظم، وقال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى إلى ملك «مَدْيَنَ» داعياً إلى الله، فرشاه الملك، وأعطاه المُلْك، على أن يترك دين موسى، ويتابع الملك على دينه، ففعل، وأضل الناس بذلك، {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ولكنه أَخْلَدَ إِلَى الأرض واتبع هَوَاهُ} أي لو شئنا لرفعناه إلى منزل العلماء الأبرار، ولكنه مال إلى الدنيا، وسكن إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة، واتبع ما

* تفسير الطبري: 5/ 703.

تهواه نفسه، فانحط أسفل سافلين، {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث} أي فمثله في الخسة والدناءة كمثل الكلب، إن طردته وزجرته فسعى لَهَث، وإن تركته على حاله لَهَث، وهو تمثيل بادي الروعة، ظاهر البلاغة، {ذَّلِكَ مَثَلُ القوم الذين كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا} أي هذا المثل السيئ هو مثلٌ لكل من كذّب بآيات الله، وفيه تعريضٌ باليهود، فقد أوتوا التوراة، وعرفوا صفة النبي، عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وانسلخوا من حكم التوراة {فاقصص القصص لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} أي اقصص على أمتك ما أوحينا إليك، لعلهم يتدبرون فيها ويتعظون {سَآءَ مَثَلاً القوم الذين كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا}؛ أي بئس مثلاً مثلُ القوم المكذبين بآيات الله {وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ} أي وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم، فإن وباله لا يتعداها[1].

قال الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز في علم المعاني): (كلّ شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش أو علّة، خلا الكلب، فإنّه يلهث في حال الكلال، وحال الرّاحة، وحال الصحة والمرض، وحال الريّ والعطش، فضربه الله مثلا لمن كذّب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضالّ، وإن لم تعظه فهو ضالّ، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله أيضا لهث)[2]

فهذه عينة من الأمثال القرآنية يسر الله سبحانه الوقوف عندها في هذه العجالة، التي تضمنت أروع التوجيهات وأبلغها في تشكيل الشخصية الإسلامية، وتدل على رحمته عز وجل، وحبه وتوده لعباده بضرب الأمثال، لتسهيل الفهم والإدراك، ولنا في أعداد قادمة وقفات أخرى عند أمثال ذكرت في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأخرى جاءت في قصص أسلافنا.

1- صفوة التفاسير: 1 /447 - 449.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني: 1 /216.

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام

ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن

إعداد: أ. مصطفى أعرج
مدير عام مكتب سماحة المفتي العام

المفتي العام يشارك في حفل تأبين الشهيد محمد أبو خضير

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين-المفتي العام للقدس الديار الفلسطينية- خطيب المسجد الأقصى المبارك، في حفل التأبين الذي أقيم لشهيد الفجر، محمد أبو خضير، الذي أُحرق حياً على أيدي المتطرفين المستوطنين، وقال سماحته: إن القدس لا تنسى شهداءها من أسرة الشهيد الصغيرة عائلة أبو خضير إلى أسرته الكبيرة فلسطين، وأن الشعب الفلسطيني يقف صفاً واحداً خلف قضيته وحقوقه المشروعة، ويقول

للذين يتآمرون على قضية شعبنا: فشلتم وستفشلون؛ لأن هذا الشعب صامد ومتمسك بحقوقه، ويرفض كل المحاولات الرامية إلى القفز على حقوقه الراسخة والثابتة، كما وجه سماحته رسالة إلى المطبعين المندسين للدعاية الإسرائيلية، الذين يشككون في مكانة المسجد الأقصى المبارك، داعياً إياهم للعودة إلى رشدهم، والتوبة عما صدر عنهم من تصريحات بالخصوص، وقد حضر الحفل كثير من الشخصيات الرسمية والشعبية والوطنية الذين أشادوا بالشهداء والأسرى والجرحى الفلسطينيين وبثبات الشعب الفلسطيني أمام الاحتلال وظلمه.

المفتي العام يستقبل ممثل المكسيك في فلسطين

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- خطيب المسجد الأقصى المبارك، في مكتبه سعادة السفير د. بدرو بلانكو بيريز/ ممثل جمهورية المكسيك لدى فلسطين، حيث أطلعه سماحته على آخر المستجدات، والأوضاع الصعبة التي يعاني منها شعبنا الفلسطيني، ومقدساته، ومدنه، ومخيماته، وقراه،

وأطفاله، وأسراه البواسل، جراء إجراءات الاحتلال القمعية، وبين سماحته مخاطر عمليات الهدم التي تنتهجها سلطات الاحتلال ضد الفلسطينيين، والتي كان آخرها مجزرة الهدم التي جرت ضد منازل المواطنين في واد الحمص بالقرب من صور باهر في القدس، الأمر الذي شرد الكثير من العائلات الفلسطينية، بالإضافة إلى مصادرة الأراضي التي تقوم بها هذه السلطات بهدف توسيع مستوطناتها على حساب الشعب الفلسطيني وأراضيه.

وأضاف سماحته أن الدين الإسلامي هو دين تسامح ومحبة، وأشار إلى أهمية العيش المشترك الإسلامي المسيحي، مبيناً أن فلسطين تقدم نموذجاً متميزاً في احترام عقائد الآخرين وأتباع الديانات، مشيداً بموقف المكسيك الداعم للقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، من أجل نيل حريته واستقلاله والعيش بحرية وكرامة وأمن وسلام.

بدوره قدم سعادة السفير الشكر والتقدير لسماحته على حسن الاستقبال، مؤكداً على عمق العلاقة بين الشعبين الفلسطيني والمكسيكي.

المفتي العام يؤم المصلين في حي وادي الحمص في القدس

القدس: أمَّ سماحة الشيخ محمد حسين-المفتي العام للقدس الديار الفلسطينية- خطيب المسجد الأقصى المبارك، جموع المصلين صلاة الجمعة في حي وادي الحمص بقرية

صور باهر في القدس، والمهدد بهدم "100" شقة سكنية وتشريد أصحابها، وبيّن سماحته أن هدم البيوت من قبل سلطات الاحتلال هو تخريب وإرهاب وترهيب، تقوم به هذه السلطات، مبيناً أن الشعب الفلسطيني يرفض هذا الظلم والإرهاب، وأضاف أن رباطنا في القدس هو حقنا في الحفاظ على منازلنا وحياتنا وتمسكنا بالأرض، لنكن خير قدوة للأجيال القادمة، مؤكداً على أن ممارسات سلطات الاحتلال من هدم المنازل والتخريب والعبث، إنما يزيد المقدسيين تمسكاً بالأرض لأنهم أصحابها، مبينا أن هذه السلطات تستهدف المقدسات الفلسطينية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، بأعمال عنصرية بغيضة تمارس ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته.

المفتي العام يحذر من جرائم هدم العمائر والبيوت في وادي الحمص

القدس: حذر سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، من تداعيات ما يحدث في القدس المحتلة، منبهاً إلى خطورة جرائم سلطات الاحتلال الخاصة بهدم منازل المواطنين في حي وادي الحمص، حيث هدمت آليات سلطات الاحتلال بنايات سكنية ومنازلاً في الحي المذكور أنفاً؛ وذلك في سياق استكمال تهويد المدينة المقدسة، فالسلطات الإسرائيلية ماضية في طمس كل أثر إسلامي وعربي في مدينة القدس والمناطق الفلسطينية المحيطة بها، في إطار سياسة مبرمجة تهدف إلى فرض الأمر الواقع على الأرض، من خلال اعتداءاتها المباشرة وغير المباشرة التي تخدم هذا الهدف العدواني، وأكد سماحته على أن مدينة القدس إسلامية عربية، ولن يتمكن الاحتلال من طمس هويتها مهما أوغل في الإجرام وتزييف الحقائق.

من جانب آخر، شجب سماحته الهجمة الإرهابية الشرسة، والممارسات القمعية التي تقوم بها قوات الاحتلال من خلال إطلاق الرصاص الحي والمطاطي على منازل المواطنين

الآمنين في قرية العيسوية في القدس المحتلة، كما اعتدت على الطواقم الطبية، موضحاً أن هذه الاعتداءات تخالف القوانين والأعراف الدولية التي تمنع الاعتداء على المواطنين المدنيين، وهي تتناقض مع الشرائع السماوية التي حفظت للإنسان كرامته، سواء أكان حياً أم ميتاً.

وندد سماحته باقتحام شرطة الاحتلال لمصلى باب الرحمة في الجهة الشرقية من المسجد الأقصى المبارك، حيث دخلوه بأحذيتهم، واستولوا على قواطع خشبية وخزائن مخصصة لأحذية المصلين، مطالباً الأمم المتحدة والهيئات والمنظمات الدولية بضرورة سن قانون يجرم كل من يسيء إلى المقدسات والمواطنين العزل في العالم أجمع، واعتبار هذه الممارسات من جرائم الحرب، مبيناً أن القدس والمسجد الأقصى المبارك بمصلياته وقبابه وساحاته وباحاته، فوق الأرض وتحتها، كل ذلك إسلامي، ولا شرعية لتدخل غير المسلمين في شؤونهما.

المفتي العام يترأس الجلستين الرابعة والسبعين والخامسة والسبعين بعد المائة لجلسات مجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- رئيس مجلس الإفتاء الأعلى الجلستين الرابعة والخامسة والسبعين بعد المائة لجلسات مجلس الإفتاء الأعلى، بحضور أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس من محافظات الوطن كافة، حيث حذر سماحته من محاولات تصفية القضية الفلسطينية التي تقوم بها الإدارة الأمريكية وقادة الاحتلال الإسرائيلي، داحضاً زعم رئيس وزراء الاحتلال أن أصل الفلسطينيين من جزيرة أوروبية، ومضيفاً أن هذه التصريحات عنصرية، وهي امتداد للحملات التضليلية التي تهدف إلى إنكار الوجود الفلسطيني والوطني والإنساني في وطنه، وهي محاولات لتكريس الاحتلال والاستعمار في فلسطين، محذراً من خطورة قيام سلطات الاحتلال بأخذ قياسات للمنازل المهددة بالهدم في حي وادي الحمص في القدس، ومؤكداً على ضرورة التصدي لمحاولات سلطات الاحتلال تهويد المدينة المقدسة، كما نبه سماحته إلى ضرورة الحذر من الفريق الأمريكي المشرف على ما يسمى بـ" صفقة القرن" وأحاديثهم وورشاتهم الكذابة الخداعة، والتي يجولون العالم لنشرها.

وقد أهاب سماحته بالعرب والمسلمين حكاماً وشعوباً وفصائلَ وأحزاباً، بأن ينتصروا لفلسطين وشعبها ومقدساتها انتصار الأخ لأخيه، فالتاريخ لن يرحم المتخاذلين، ولن يهنأ للأمة عيش ومسرى نبيها، صلى الله عليه وسلم، يئن ورواده من وطأة الاحتلال وبطشه وظلمه.

وفد من دار الإفتاء الفلسطينية يشارك في بعثة الحج الفلسطينية

القدس: حرصاً على نشر الوعي الديني، وإرشاد الحجاج الفلسطينيين لأداء مناسك الحج؛ تشارك دار الإفتاء في بعثة الحج الفلسطينية لهذا العام 1440هـ، بوفد يضم: فضيلة الشيخ حسن اللحام – مفتي محافظة غزة- وفضيلة الشيخ جميل جمعة/ مفتي محافظة سلفيت، وفضيلة الشيخ أحمد شوباش/ مفتي محافظة نابلس، وفضيلة الشيخ كايد جلايطة/ مساعد مفتي محافظة أريحا والأغوار، وفضيلة الشيخ حذيفة غنيمات/ باحث شرعي في دار الإفتاء الفلسطينية.

وأكد سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى، على أهمية الدور الذي تقوم به بعثة الحج الفلسطينية

في نشر التوعية المتعلقة بأداء مناسك الحج على أكمل وجه، متمنياً للحجاج أن يكون حجهم مبروراً وسعيهم مشكوراً وذنبهم مغفوراً.

وأشار سماحته إلى أن دار الإفتاء الفلسطينية أصدرت عدداً خاصاً من مجلة الإسراء يشمل موضوعات ومقالات خاصة بالحج وأحكامه، وتم توزيع كمية منه على وفود حجاج بيت الله الحرام المغادرة إلى الديار الحجازية عبر معبر الكرامة، بوساطة دائرة إفتاء محافظة أريحا والأغوار وبالتعاون مع الإدارة العامة للمعابر الفلسطينية.

مفتي محافظة جنين يشارك في فعاليات ذكرى النكبة ونشاطات أخرى

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب- مفتي محافظة جنين- في الفعاليات الوطنية التي أقيمت في المحافظة، في الذكرى "71" للنكبة، كما شارك في ندوة عقدت في دائرة العمل النسائي التابعة لأوقاف جنين، تحدث فيها عن" الميراث في الإسلام وحقوق المرأة" بيّن فيها أن الميراث حق مفروض من الله سبحانه وتعالى، وأن القانون الشرعي يحفظ حقوق المرأة في الميراث.

وكان فضيلته شارك في العديد من اللقاءات الإعلامية في وسائل الإعلام المختلفة، تناول فيها العديد من الموضوعات الدينية التي تهم المواطن في حياته اليومية، كما شارك في حل العديد من الخلافات والنزاعات العائلية والعشائرية.

مفتي محافظة سلفيت يلقي العديد من المحاضرات الدينية

سلفيت: ألقى فضيلة الشيخ جميل جمعة - مفتي محافظة سلفيت- العديد من المحاضرات في كل من دائرة العمل النسائي، وأمام عدد من موظفي الدوائر الحكومية في مديرية الثقافة والتنمية الاجتماعية والحكم المحلي ودائرة الطابو والمساحة، وأمام الطابور العسكري لأفراد الأمن الوطني وأمام أفراد الدفاع المدني وجهاز الاستخبارات وأفراد جهاز المخابرات، تناول فيها العديد من الموضوعات التي تهم المواطنين في مختلف جوانب الحياة.

مفتي محافظة بيت لحم يلقي دروساً دينية ونشاطات أخرى

بيت لحم: ألقى فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة - مفتي محافظة بيت لحم- دروساً دينية عدة، تناول فيها مختلف جوانب الحياة، فألقى درساً دينياً على طلبة مدرسة بنات بيت جالا الثانوية، ودرساً آخر في مركز العمل النسوي التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، كما شارك في فعاليات إحياء ذكرى النكبة، وفي حفل افتتاح مشروع الصحة النفسية، وحضر اجتماع الدوائر الرسمية الذي عقد في المحافظة، والذي بحث مؤازرة سكان وادي الحمص في تصديهم لقرار سلطات الاحتلال لهدم منازلهم، كما استقبل وفداً بريطانياً مسلماً في قاعة الفينيق في مخيم الدهيشة، وكذلك وفداً أمريكياً

مسلماً في دار الندوة، حيث تناول اللقاء موضوعات مختلفة، علماً أن فضيلته يلقي دروساً ومحاضرات دينية مختلفة الموضوعات، ويشارك في كثير من البرامج الإعلامية، ويجيب عن استفسارات المواطنين بالخصوص، كما يشارك في حل كثير من النزاعات والخلافات العائلية والعشائرية.

مفتي جنوب الخليل يلقي محاضرة دينية

جنوب الخليل: ألقى فضيلة الشيخ أكرم الخطيب - مفتي جنوب الخليل- محاضرة دينية بعنوان: "صلة الأرحام وحقوق الميراث" في مسجد دورا الكبير، بدعوة من نادي العمل النسوي، حيث بيّن فضيلته أثر هذه الفضيلة في تقوية الصلات بين الأبناء على الصعيد الأسري والمجتمعي، ونبذ العداوة والبغضاء ونشر المحبة والألفة والرحمة بين أبناء الشعب الفلسطيني جميعه، وأن المطالبة بحق الميراث يجب ألا تكون سبباً للاختلاف والتنازع والتنافر الذي يؤدي إلى قطيعة الأرحام.

مفتي محافظة نابلس يشارك في العديد من النشاطات

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش- مفتي محافظة نابلس- في إلقاء العديد من الندوات، حيث شارك في ندوة بعنوان: "حق المرأة في الميراث" نظمتها دار الإفتاء بالتعاون مع المديرية العامة للعمل النسائي، بحضور فريق الوعظ والإرشاد، وعدد من الواعظات ومحفظات القرآن والطالبات، وقد شرح فضيلته قواعد الإرث في الإسلام، وبيّن أنصبة أفراده وحالات الميراث، وشارك في ندوة لغوية دينية حول "اللسانيات وعلم الأصوات" نظمها قسم اللغة العربية في جامعة النجاح ومكتبة بلدية نابلس، حيث تم الحديث عن كيفية الاستفادة من علم الأصوات، خاصة في خدمة القرآن والتلاوة والتجويد.

وشارك في اللقاء المنعقد في قاعة جمعية أصدقاء النجاح، لبحث نشاطات عدة في المحافظة، وشارك في حفل تخريج جامعة النجاح الوطنية وأوائل الجامعة والكليات والأقسام.

وشارك في مبادرة "كتابي هويتي" حيث ألقى كلمة شجّع فيها على القراءة، وبيّن فيها أهميتها، وشارك في حفل افتتاح الصندوق الحسي في لجنة المعاقين في مخيم العين، وألقى كلمة شكر فيها جهود المتبرعين، وشارك في حفل تكريم حفظة القرآن وأوائل

مبحث التربية الإسلامية، أقيم في قاعة حياة نابلس، ونظمته جمعية مركز حواء، تحت عنوان: "مهرجان العز والوقار" ، علماً أن فضيلته يلقي العديد من الخطب في مساجد المحافظة، بالإضافة إلى مشاركته في البرامج الدينية في مختلف وسائل الإعلام، يجيب فيها عن أسئلة المواطنين المختلفة واستفساراتهم، بالإضافة إلى مساهمته في حل كثير من الخلافات والمشكلات العائلية المختلفة.

مفتي محافظة طولكرم يشارك في دورة فقهية ونشاطات أخرى

طولكرم: شارك فضيلة الشيخ عمار بدوي - مفتي محافظة طولكرم- في دورة فقهية خاصة بتفسير آيات الأحكام، عقدت بالتنسيق بين دار الإفتاء الفلسطينية ومديرية أوقاف طولكرم، حيث ألقى فضيلته العديد من المحاضرات بالخصوص، عقدت في قاعة دار القرآن الكريم، كما ألقى فضيلته عدداً من المحاضرات والندوات الفقهية في المركز الثقافي النسائي، ومدرسة صيدا الثانوية، والمسجد الجديد، تناول فيها العديد من الموضوعات

الدينية، وشارك في أمسية شعرية أقامتها وزارة الثقافة في قرية بعجورة السياحية، بعنوان: "القدس بوابة السماء" حضرها العديد من الشعراء والأدباء وشخصيات سياسية ووطنية، بالإضافة إلى أن فضيلته يقدم برنامجاً دينياً في إذاعة القرآن الكريم، تحت عنوان: "أنت تسأل والمفتي يجيب".

مسابقة العدد 148

السؤال الأول: أين .....؟

1.تقع قبة السلسلة في المسجد الأقصى المبارك

السؤال الثاني: كم .....؟

أ.مرة ورد ذكر كلمتي مثل والأمثال في القرآن الكريم

ب. بلغت حصيلة مجزرة كفر قاسم

السؤال الثالث: متى .....؟

1. فتح الخليفة عمر بن الخطاب القدس
2. وقعت مجزرة مسجد النور بنيوزيلندا
3. يقاس الصبر

السؤال الثالث: ما .....؟

1. حكم ترك المسلم أخاه مع من يؤذيه، أو فيما يؤذيه
2. الموصوف بقول الوليد بن المغيرة: «إن عليه لطلاوة، وإن له لحلاوة، وإن أعلاه لمثمر».
3. رأي د. فضل حسن عباس في تفسير آيات القرآن استناداً إلى النظريات العلمية.
4. ذنب المستثنين من المعافاة التي ستمنح للمسلمين
5.يقول المسافر إذا رجع من سفر زيادة على ما قاله في دعائه وهو ذاهب
6. اسم كتاب الجرجاني في الإعجاز
7. الحيوان الذي يلهث في حال الراحة، والصحة والمرض، والري والعطش

السؤال الرابع: من .....؟

1.صاحب الذنب، الذي قال فيه النبي، صلى الله عليه وسلم: (لقد تَابَ تَوْبَةً لو قُسِمَتْ بين أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ)

2.الملقبة بذات النطاقين

3. صاحب إجابة تركت لهم الله ورسوله، على سؤال: ماذا تركت لأهلك؟

4. الصحابي الذي كان يؤم عائشة ويقرأ من المصحف

5.الصحابي الذي أُوقف له وقفاً ذريعاً في مدينة الخليل

6. الذي استعان به الرسول، صلى الله عليه وسلم، ليدله وصاحبه أبا بكر على الطريق خلال هجرتهما إلى المدينة

السؤال الخامس: من القائل:.....؟

أ. كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان، وأمي من النساء

ب.(فإذا أنا مُتُّ فلا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، ولا نَارٌ، فإذا دَفَنْتُمُونِي، فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا)

ج. رباه جئتك والذنوب تلفني

هل لي بعفو أم أكون قتيلاً

د. وما يكُ من رزقي فليس يفوتني

ولو كان في قاع البحار العوامق

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل موزعة على ستة فائزين بالتساوي

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- أن لا يقل عمر المتسابق عن 10 سنوات
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 148
مجلة الإسراء
مديرية العلاقات العامة والإعلام/ دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 146

السؤال الأول:

الشهيد كامل درويش

إصلاح ذات البين

واجبة

غير مفطرة

محمد أبو وندي

السؤال الثاني:

(29) شهيداً

(27) درجة

(11) ابناً

السؤال الثالث:

الفشل، وذهاب الريح (القوة)

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى

السؤال الرابع:

الخليفة العباسي المعتصم

النائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يحتلم، والمجنون حتى يعقل

سلمى بن أبي حية

الرسول ، صلى الله عليه وسلم

زهدي حنتولي

أبو العتاهية

د. مفيد جاد الله

السؤال الخامس

في رمضان

15هـ / 637م

92 هـ

1982م

7 /2 /2019م

إذا كان المرض مزمناً

الفائزون في مسابقة العدد 146

اسم الفائز	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
1. رزان خليل موسى أبو فرح	أريحا	250
2. محمد موسى هماش	بيت لحم	250
3.ربى سعيد عطا الله صالح	رام الله	250
4.قمرهان محمد نضال أسعد كتوت	نابلس	250
5. غادة عزام داود صلاح الدين	ضواحي القدس	250
6. . آلاء محمد امحميد الطوس	الخليل	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم المختلفة من المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكّلة، وصحيحة ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها، إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس، سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، أو حواشٍ سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية .

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org